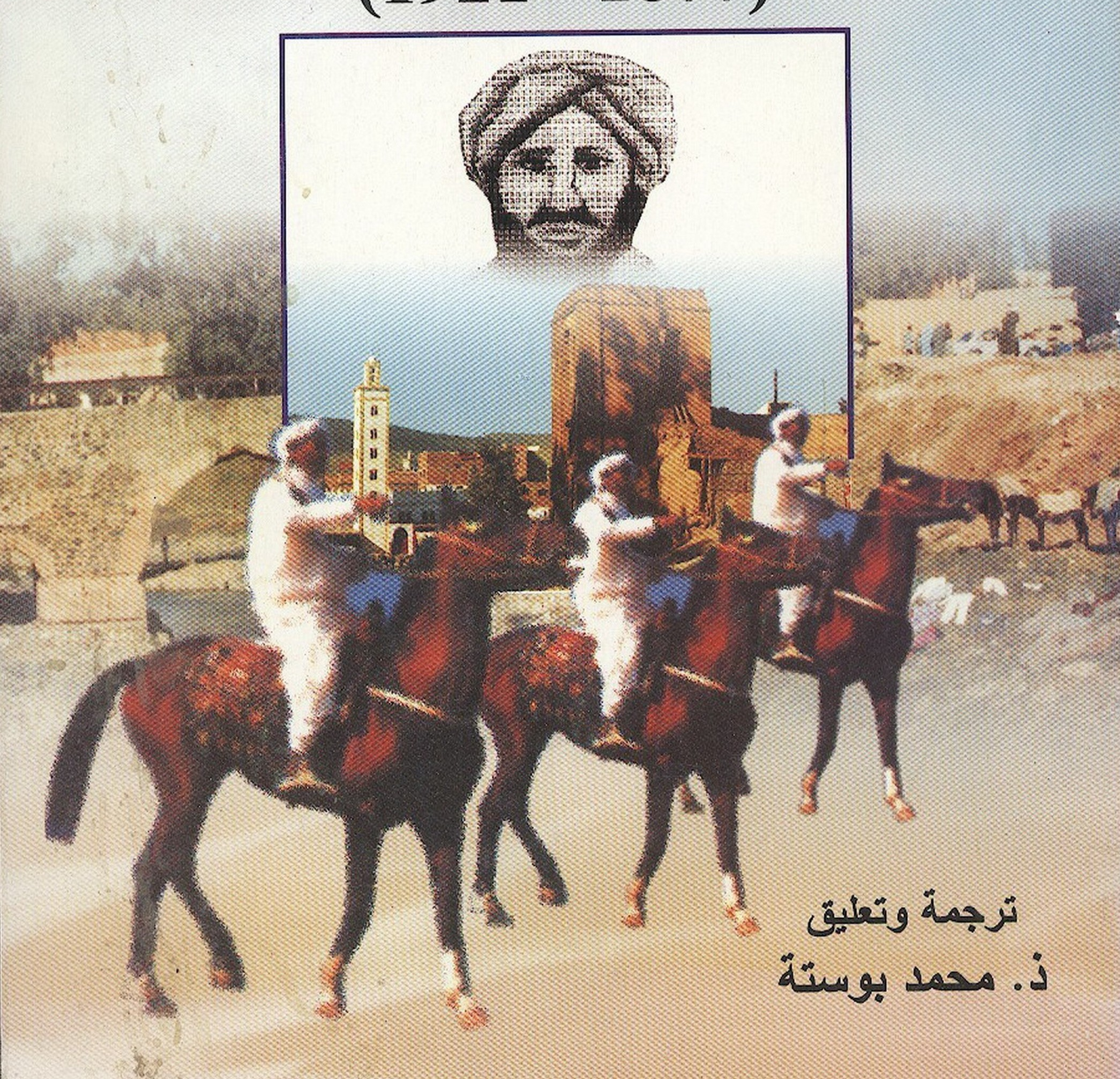
فرانسوا بيرجي

موحى وحمو الزياني

(1877 - 1921)



ترجمة وتعليق

ذ. محمد بوستة

موحا وحمو الزياني

(1921 - 1877)

* **موحا وحمو الزياني (1877 - 1921)**
* فرانسوا بيرجي   ترجمة وتعليق   ذ. محمد بوستة
* الطبعة الأولى

* رقم الإيداع القانوني   1999/1207
* ردمك   3 - 1678 - 0 - 9954
* مطبعة أنفو برانت - فاس ✆: 26 17 64 (05)

فرانسوا بيرجي

موحى وحمو الزياني

(1877 - 1921)

ترجمة وتعليق
ذ. محمد بوستة

إهــداء

أهدي هذا الكتاب المتواضع إلى أبوي وإخوتي وزوجتي وبناتي

إلى كل من ساعدني على إخراج هذا المؤلف إلى حيز الوجود

كما أهديه إلى أولائك الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل

حرية هذا الوطن العزيز.

إلى رفاقي وأصدقائي وأحبابي الذين شجعوني على إنجاز

هذا الكتاب.

التمهيد

بلاد زيان، صعبة المنال، التلال الصخرية مراعيها يبست مبكرا، السفوح تشرف على خوانق عميقة واودية ملتوية مكسوة بقليل من الأشجار العفصية[1] المعقدة والمعوجة فوق أعلى قمة وقف الفارس بجانب حصانه بين صخرتين، راميا على الكتف ذيل سلهامه الوسخ ومسندا البندقية على فخذه و هو يدقق نظره النسري في المسالك الملتوية، الغبار الصاعد في السهل الواسع الأزرق هو للقوافل ولقطعان الماشية، بعد قليل سينصب لها كمين[2]. الرعاة دائما على أهبة من قمة لأخرى، البندقية في متناول اليد، يتغنون ويتبادلون النكت بأصوات عالية حيث يعيد الصدى ضحكاتهم في منعطفات الوادي. الدخان القليل الصاعد في السماء الشاحبة هو أحيانا لنار[3] متأججة ومنتشرة، فتقطعات الدخان تتكرر من جبل لاخر، والإشارة تدعو محاربي القبيلة للنهب أو القتال.

خلف التلال، يجري نهر أم الربيع في خنيفرة [4]بين الضفاف البازلتية وينبع

---

[1] جنس من الشجر من الفصيلة الصنوبرية

[2] – عاشت معظم القبائل خلال فترات من تاريخ المغرب على السلب النهب وهذا ما يعرف بالسيبة وسميت مناطق نفوذها ببلاد السيبا لانها لا تخضع للمخزن وخاصة ابان ضعف السلطة المركزية.

تستعمل القبائل البربرية النار ليلا والدخان نهارا لنقل الاخبار مع العلم ان معظم القبائل الجبلية تعيش على الرعي والانتجاع.

[4] لم اجد في المصادر المهتمة بتاريخ المغرب ولو اشارة بسيطة لاصل كلمة خنيفرة ولهذا

عند سفح التلال الرملية الحمراء، يتظاهر بالنوم في المنعطفات أو في الأرض الرطبة حيث تزهر أشجار الغار الوردية[5]. يلي التلال سهل غير مستو، واسع وضيق حسب نزوات النهر والجبل ثم الأطلس الكبير العجيب بأوديته الرطبة وشلالاته وزراعاته ومراعيه وصخوره الوعرة وثلوجه الدائمة، هنا تعيش قبائل زيان[6] الناهبة والمتحاربة والمتصارعة فيما بينها على الأراضي الرعوية، المارة بخيامها الكبيرة وصناديقها وزرابيها ونسائها ومواشيها ومزروعات السهل نحو مراعي الجبل حسب تعاقب الامطار ونظام الفصول[7]

هؤلاء الاقوام الفريدين من نوعهم نسميهم بربرا، ولنا الحق ولكن من الخطأ أن نصدق بأن هؤلاء البربر عامة هم من نفس الأصل والجنس، هؤلاء ليسوا بدائيين، اولائك الشلوح أبناء الأطلس، طردوا نحو البحر

اعتمدت على الرواية الشفوية المتداولة . فبعض الروايات تعتبر اسم خنيفرة هو تحريف لكلمة بربرية هي "خنفر" وتعني استعمال القوة والعنف وهي سمة اتصف بها المكلف بجمع رسوم المرور بقنطرة المدينة وكان الكل يهابه فيحذر بعضهم البعض منه غراك خنيفر" وتعني احذر خنفر وهناك رواية اخرى تحكي عن وجود امراة تقيم في خيمة بجانب القنطرة تسمى خنيفرة وسميت القنطرة خنيفرة " ومن تم اسم مدينة خنيفرة انظر جريدة اطلس ايكو "ATLAS ECHOS العدد الثاني 1995 وكذلك كباء العنبر من عظماء زيان واطلس البربر لاحمد بلقاسم الزياني الجزء الاول من المخطوط ص 8.

شجرة يطلق عليها البربر اسم اليلي" منها اشتق اسم المدينة الرومانية وليلي وتعرف في المغرب باسم الدفلة"

[6] تنقسم كتلة زيان الى قسمين زيان ايت سكوكو تقطن منطقة مريرت واولماس وزيان تقطن منطقة خنيفرة والنواحي.

تعتمد معظم القبائل الجبلية على الانتجاع بحيث تنتقل صيفا الى مراعي الجبل وشتاءا الى ازغار.

واستوطنوا الأطلس الكبير قرب مراكش وسوس الأقصى والغرب، هؤلاء زيان بصفة عامة سكان الأطلس المتوسط هم غزاة قدامى، العبريون طردوا الكنعانيين فنزحوا عبر تير TYR [8] أماليسيت AMALECITE[9] وشعوب كولياط GOLIATH [10] هجروا بعد انهزامهم أمام داوودابن كنعان بن سام.

هؤلاء كبار الرحل مربي الابل، بعدما استولوا علىسهول الغرب فتحوا اسبانيا التي فقدوها في نهاية الامر ابان الدولتين سيدتي افريقيا الشمالية لمدة تزيد عن مائة سنة لكل واحدة، المرابطون بمراكش والمرينيون بفاس[11]، بين هؤلاء الرحل الكبار الساميين والمستقرين في السهل تنشب النزاعات. الساميون الرحل تعبوا فاستقروا، الزناتيون والبدويون أو التجار: الفنيقيون والبونيقيون، أبناء يافا JAPHE الغزاة المنتصرون على التوالي على الرومان فاليونانيين فالقوط فالوندال فالبرتغاليين فالاسبان ثم الفرنسيين لقد ظلوا اسياد اراضيهم الزراعية والرعوية في جبالهم

---

[8] مدينة فينيقية كانت لها مراكز تجارية في حوض البحر المتوسط وانهارت هذه المدينة امام الغزو الاشوري لفينيقيا في القرن 6 ق.م انظر تاريخ افريقيا الشمالية شارل اندري جوليان، تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة الدار التونسية للنشر 1969 ص 85.

[9] تنتمي الى القبائل الحميرية التي كانت تقطن سوريا والتي تضم الاقباط والمودريون والكنعانيون والقرشيين انظر المصدر السابق LES SIECLES OBSEURS DU MAGHREB " E.F. GAUTHIER EDITION PAYOT **P. 117**.

[10] قبيلة حميرية استقرت بسوريا وطردها داود كما جاء في الاسطورة انظر المصدر السابق ص 118

ربما يقصد الموحدين لان المرينيين لم يستولوا في أي وقت من الاوقات على اندلس وشمال افريقيا بل نفوذهم انحصر في المغرب الاقصى.

الوعرة دون أي مبادئ تجاه الوطن [12]والحرية سوى القبلية والفوضى[13]

محاربون مشـــهرون، بخـــلاء مكــرة، قســاة ونـــاهبون جريـــؤون، لا القرطاجيون ولا الرومان ولا العرب ولا سلاطين المغرب الكبار قضـــــوا عليهم... باي ثمن اذن قضى عرب القرنين 7و8 م علـــى هـــؤلاء بجبـــال الاوراس الجزائرية بقيادة الكاهنة[14] الملكة المشهورة وقضينا نحـــن علـــى زيان بالاطلس المتوسط؟ كيف حاول هؤلاء بعد الف ومائتي سنة الاستلاء على دولة المغرب وطرد الغازي الذي حاول افشـــال مخططـــهم وســـلب حريتهم؟ كيف استسلموا في النهاية؟ سنحاول شرح ذلك فـــي الصفحـــات الموالية

وصلت اول مرة الى خنيفرة منذ اثنتي عشرة سنة في يوم ممطر، المدينـــة الحمراء تبدو تحت السماء الرمادية وعبر ستار من المطر الخفيف كانـــها تذوب ببطئ وتسيل عبر الازقة الضيقة المزدحمة ببغال الحمل، من الازقة

كان المجتمع القبلي مرتبطا بالعصبية اكثر من ارتباطه بالارض بحيث لا يوجد معنا للوطـن بمفهومه الحديث، فالدولة او الوطن او الامة او الشعب هي مفاهيم تعني شيئا واحدا أي مجموعـة من الناس تربطهم قرابة النسب ولا يعيرون اهتماما لمناطق سكنهم التي تتغير حسب الظـــروف والاحوال انظر رسالة محمد عابد الجابري فكر ابن خلدون العصبية والدولـــة معـــالم نظريـة خلدونية في التاريخ الاسلامي الطبعة الثانية دار النشر المغربية ص 323

[13] الافكار الاستعمارية العنصرية تصف البربر بالجمود والفوضى وعدم الاهتمـــام بالمصلحـة العامة انظر حوليات كلية الاداب والعلوم والانسانية Iعين الشق الدار البيضاء مقالـــة ادريـس شهبون " العرق وظاهرة الاستعمار " نمموذج البربر من خلال " تاريخ ســـتيفان كزيـــل ص 220-223.

[14] الملكة البربرية التي اعتلت العرش بعد مقتل الملك كسيلة واسمها داهية، تنتمي الـــى قبيلـة جراوة بجبال الاوراس الجزائرية

الى الطرقات ومن الطرقات الى النهر الجارف المزمجر بوحشـــية بيــن الصخور البازلتية حيث الدم والحديد والطمي. ضجيـــج الجنــود اصمــه الطمي واسكتته الامطار الغزيرة، في الاعلى تنتصب القصبـــات الكـبرى الكئيبة [15]بابراجها المبيضة بالجير والتي فقدت لونـــــها بســبب الامطـــار الكثيرة.

ثم موجة كتائب الفرسان و المدفعية اتت بنا وانسحبت وتركتنا كالحطـــــام على صخرة خنيفرة ، وارتباطنا بالارض الاهلة كــــان بواســطة اريتنـــا للاتصالات اللاسلكية[16]. نرى عملية الدرس على منحــــدرات باموســـى[17] وعدد من الجنود و الترحال نحو نحو قمة الزيار[18] التي فيــــها مراعـــي لازالت تستفيد من الامطار الغزيرة و عملية فحــــص بغــال الحمــل ومؤخرة الجنود السباهية [19].

الشمس ارسلت من جديد اولى اشعتها وجعلت المراعـــي صفــراء، انــه الصيف المضيئ والاحمر، الارض حمراء كل ما تفعله او تمسه احمـــر، المدينة، النهر، والازهار، وسفوح الجبال. في عناء الزوال الحار نستنشــق دخانا خانقا لحرائق اشعلها المنشقون في القلاع الزراعية، وعلى ضفـــاف النهر الخالية تحطمت ظلال متحركة للقالق وفي الســـماء الثابتـــة يــترنح

---

15 فقدت معظم القصبات كثير من معالمها كلاسوار والابراج.

16 اشار اليها صاحب الكتاب برمز T.S.F

في الكتاب BOUMOUSSA وهذا خطا وهو جبل عند قدمه توجد مدينة خنيفرة

18 جبل يوجد قرب خنيفرة يعتبر امتدادا لجبل باموسى.

19 هو اسم كان يطلق عند الاتراك على جيش الفرسان اما في المغرب فهذا الاسم يطلق علـــى فرسان اهالي البلد الذين عملوا تحت اشراف القوات الفرنسية.

الاطلس كصورة وراء اللظى.

في تلك الاثناء اتمدد على ارض القصبة الرطبة وانظر الى السقوف حيث روعة ورود الربيع وبخور مريم المطوقة بالزهور، وداخل هذه الصناديق المنحوتة نقوش عربية مرهفة من الفن الهندسي المراكشي تتلاءم مع تراقص الاضواء المنبعثة من الزجاج الملون فوق ضامات الفسيفساء التي جلبها موحا[20] من فاس لتزيين منزل محبوبته[21]

في هذه الاثناء ايضا انعزل في قبو مكتب الاستخبارات واتصفح الوثائق القديمة التي جمعت بعناية من طرف الضابط المترجم ابن داوود [22]الذي ندين له بالجزء الاكبر مما نعرفه على خنيفرة. بالنهار مع تقدم اشغال البريد احمل الانقاض او اخد تصميم المدينة المنهارة، وفي الليل ومن اعلى الشرفة لما تضيء النجوم النهر تنحدر الريح الرطبة عبر الوادي لتطرد ريح الزوال الحارة، نسمع بعض النساء البربريات ينشدن اغاني الجبل المتضمنة كنخبة قدمائنا الطروبادور[23] كل الاسطورة وكل التاريخ رمز الحرب والحب.

اسم مصغر لمحمد.

هي المراة الوحيدة التي احبها وتسمى زينب بالفاسية وهي بنت الشريف مولى ادريس بن سعيد الحسني التلمساني ثم الفاسي اول قاض بخنيفرة انظر تاريخ بلدة خنيفرة ص، 44-45.

هو ضابط في الجيش الفرنسي من اصل جزائري عمل في قسم الاستعلامات جمع عدة معلومات عن قبائل زيان نشرت له تحت عنوان Notes sur le pays ZAYANE dans l'archives berberes vol II 1917.

[23] ظهرت ظاهرة الطروبادور لاول مرة في اقليم بروفانسا المتاخم لشرق شبه الجزيرة الايبيرية حيث تفجرت طاقة الشعراء بالشعر الفنائي المتميز بالحب والعاطفة وذلك في اواخر القرون 11 م وعمت هذه الظاهرة ربوع اوربا انظر: مجلة عالم الفكر المجلد الحادي عشر العدد 3 1980 ص 107-108.

الارتقاء

الجبـــــال عظامي

ام الربيع حدودي

الســـهل طريدتي

موحا وحمو

لم يكن لخنيفرة منذ امد بعيد تاريخ، ولم يذكـــــر اســمها أي واحــد مــن المؤرخين القدامى، انها دشرة احدى عائلا ت زيان ابناء عفي[24] ايت عفــى المنتمين الى فرع ابناء الاب حدو ايت بوحدو[25]"، " لان القبيلة البربريــة ومنذ القدم حتى الان لاتمثل سوى عدة اسر او مجموعات مختلفة تتحـــدر من اب اسطوري، غارقة في فوضى تامة، متحاربة دائما فيما بينها مـــن اجل انتزاع احسن المراعي واجود قواعد العمليـــات لنـــهب المســافرين والاجانب، لاتتوحد الا امام خطر عدو مشترك يهددها نهب جار قوي او سلطة المخزن او غزو مسيحي قال رينان [26]: لايمكن لدولة ان تـــدرك عادة و ضعيتها الحقيقية بنفسها الا امام خطر خـــارجي نضيــف لذلــك الرغبة في التوسع الســـائدة عنـــد الرؤســـاء الاقويـــاء المنتصريــن والمطاعين، وسنشرح حكم موحـــا وحمـــو وتشـــكيل كتلـــة زيـــان فـــي النصالاخيـــر من القرن.

نمت دشرة خنيفرة فقيرة بدون تاريخ على الضفة الاطلنتيكية [27]لام الربيــع، النهر ضيق في هذا المكان بين ضفاف البازالت الاسود الذي قلص عرضه

---

[24] هي فرع من قبيلة ايت بوحدو كانت تقطن خنيفرة

[25] هي فرع من قبيلة ايت شارد التي تضم بالاضافة ايت بوحدو، ايت بومـــزوغ، ايــت عمــو عيسى، وايت بومزيل، وتتقسم قبيلة ايت بوحدو الى ايت يويشي وايت ميمون وايت عقى وايـــت عبي.

[26] اسمه هو ايرنيست رينان ERNEST RENAN ولد بمدينة Treguier سنة 1823 وتوفي سنة 1892 اهتم في دراساته باللغات السامية وتاريخ الديانات وله عدة مؤلفات في هـــذا الصددمنـــها كتاب **حياة المسيح** انظر LAROUSSE DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE pourla maitrise de la langue française , la culture classique et comtemporaine larousse bordas 1997.

[27] يعني بها الضفة الغربية لنهر ام الربيع

الى حوالي عشرة امتار بينما امواجه القوية تصل الى احد عشر مترا مـن العمق انه حاجز منيع ضد غارة اخوة الجبل النازلين من الاطلس المتوسط القريب من المعبر الخطير على الماشية والغير مستعمل أثناء فيضان النهر والمتواجد بضعة الاف الامتار في اعلى النهر، الدخول الى خنيفـــرة يتـم عبر منحدر طويل الهزيمة حتمية من جميع الجهات ، ســـواء باحجــار المقالع او النبال او المزاريق وفيما بعد بواسطة الموكحلات والبنـادق[28] Libels

في هذا المكان المبنى بالاجور المجفف بالشمس والموضـــوع الواحـدة فوق الاخرى بدون ملاط، غير ان المطر يجعلها تتلاحم عبر الفصـــول، ايت عفي او اية اسرة اخرى سبقتهم لم تخلد اسمها في التاريخ. فخـــلال فصل الشتاء يخفضون اثمان حبوبهم و ماشيتهم و نسائهم، في الفصـــل الجميل نراهم ذاهبين مرة اخرى بخيامهم الكبيرة نحو مراعي العائلـــة ومنحدرات باموسى وما وراء الحجرة المثقوبة[29] في تجاه الشاوية والبحـر فالوادي ترويه الجداول وتظلله الاشـــجار العصفيـة، منظـر طبيعـي

[28] هي بنادق ذات عيار صغير نسبة لمخترعها نيكولا ليبيل Nicolas Libel (1838– 1891)

تعرف هذه البنادق في المغرب باسم بوشفر وهي انواع فريمان (صنع الماني) تزدا _ بنعيسى _ اشميرو _ لملوي _ ابوري معظم هذه الانواع تصنع محليا واشتهربصناعتها يهودي يدعى بنسبات بايت اسحاق وكان هذا اليهودي وراء النزاعات التي كانت تنشب بين القبائل في منطقـة خنيفرة فانشد في حقه ابو بكر بن علي امهاوش الابيات التالية

ايمثل حشـــــم كمنـــعال اس ريخ اذ يمز اوذاين

ايهاالالاه انتقم من الملاعين = اريدان يننتقم من اليهـود

ادحشـــــــم ربي ابنسبـــات = نغناخ اخميمن نو شافـــــر

فلينتقم ربي من بنسبـــــات = تعبنا من مكائد هذا الكافر

سمع احد الحاضرين هذه الابيات فقصد بنسبات وقتله فارتاحت المنطقة من مكائده.

[29] يطلق عليه بالامازيغية اسم " تزروت موخبو" وهو جبل صخري في طريق كـــهف النســور

فالوادي ترويه الجداول وتظلله الاشجار العصفية، منظر طبيعي كمنظرنا بالجورا JURA[30] الذي يمتد حتى القمة التي نسميها كازناف GAZENAVE نصب جنائزي بين الانصاب الجنائزية التي تشير الى الطرق المتجهة نحو الاطلس والتي عبرها حاولنا ايصال الحضارة حياتهم الرعوية انتهت بلاشك منذ قرون، الطرق لاتمر من هنا وممر ام الربيع يتواجد في اعلى النهر، على بعد خمسة عشرة او عشرين كلومتر بنى رومان بنبنيوس [31] PAMPONIUS قنطرة محمية ببرج لازالت تحمل اسمه احتياط حكيم سمح للجنيرال المحنك النجاة مع بعض رجاله من هزيمة الحقها الجبليون بحملته العسكرية

اوجدت قنطرة البرج كذلك في القرن 18 م ؟ اوجدت لما اقسم المولى اسماعيل العظيم بنشر النظام في مملكته فتحقق له ذلك و قام ببناء قنطرة اخرى في خنيفرة لتامين اتصالاته بقصبة ادخسال[32] عند قدم الاطلس، حيث تعسكر حامية العبيد المكلفة بمراقبة هذه النواحي نهج انذاك طريقة نهجناها نحن فيما بعد والتي سمحت له هو الاول من تحقيق وحدة البلاد المغربية واستتباب النظام، بحيث ان امراة او يهوديا يستطيعان الذهاب من مراكش الى مكناس دون ان يزعجا

على بعد 7 كلومترات من خنيفرة

[30] هي سلسلة جبيلة توجد شرق فرنسا قرب الحدود السويسرية

[31] يقصد بها الزاوية القصوى لشمال افريقيا التي خضعت للاحتلال الروماني والتي تعرف بموريطانيا الطنجية انظر

Le Maroc chez les auteurs anciens Raymand Rocet Nouvelle collection de textes et documents publiés par l'association Guillaume Bridé société d'édition (les belles lettres) 1924 p 28-29.

[32] في الكتاب ادرسان وهذا خطا.

احسن المؤسسات تفتتت وافلست بين ايدي غير كفئة في عهد خلفاء المولى اسماعيل، فحاميات العبيد في المراكز الداخلية تخلت عنها السلطة دون اجور او تموين و الجنود استقروا في البلاد و اندمجوا تدريجيا مع القبائل التي كلفوا بمراقبتها، سيقتسمون معها عما قريب النهب والخصامات[33]. لكن القنطرة لازالت متواجدة والطريق الجديد اقصر من طريق البرج القديم، فقد شهدت القنطرة مرور التجار واصحاب المطاعم والممونين لتادلة وابي جعد والشاوية، واصبحت خنيفرة مبيت المرحلة، فغدت مهددة بغارات بسبب غناها وكثرة حسادها، ايت عفي سيدخلون التاريخ.

الفترة التي تهمنا حوالي 1860[34] بعد قرن طويل من الفوضى، لان جهود الملوك الضعاف العلويين المنحدرين اصلا من اسماعيل انهارت امام زيان، وتتوقف بنا عند نهاية حكم المولى محمد المنهزم بايسلي، اب المولى الحسن الذي سيعيد للاسرة الملكية الهبة والشرف وللمغرب بالاضافة الى وحدته حكومة تليق باسمه

الاسرة المجاورة لايت عفى كانت انذاك ايت حركات[35] بقيادة رجل نشيط

---

[33] يؤدي انقطاع المؤن والاجور عن الموظفين والجنود الى تفكك الجهاز الاداري وانتشار الظلم و الاستبداد في المجتمع انظر .. مجموعة الوثائق .. مجموعة دورية تصدر عن مديرية الوثائق الملكية المجموعة الرابعة 1977 ص 39

[34] يعني بها المعاهدة المغربية الاسبانية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على المجتمع المغربي انظر المصدر السابق ص 16-15. انظر كذلك مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله العدد ان الرابع والخامس 1980-1981 مقالة جاد طه مقدمات الحرب المغربية الاسبانية تطوان دراسة وثائقية ص 33-50.

تضم هذه القبيلة عدة قبائل هي ايت حدو وحمو،امحزان، ايت معي، اهبار وسبب تسميتها باسم حركات حسب الرواية الشفوية ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله امد هذه القبيلة بعدة

وحازم حمووعقا[36] تقطن دشرة اصاكا قرب قنطرة البرج، ايت حركـــات نافسوا سكان خنيفرة في مسالة المكسب والفندقية ونـــهب القوافـل، لكـن حركة العبور بخنيفرة قلصت نهائيا المرور بالبرج الذي كان مورد ايــت حركات منذ زمن بعيد في يوم جميل حمل حمو و عقا السلاح مع اخوته واتباعه وغار على ايت عفي واقربائهم ودحـــر ايــت بوحـــدو القـــادمين لنجدتهم واستولى على دشرة خنيفرة استقر بها نهائيا تاركا دشرة الـــبرج التي لم يعد بها ربح للمال بدون عمل بنى في البدايـــة قصبـــة صغـــيرة بالطين الصلصالي [37]وكانت تقريبا قصرا. وشرع في اخذ رســم المـــرور من جميع المسافرين والعابرين للقنطرة او الباحثين عن ملجا للمبيت داخـل دشرته. فاجأه الموت في خضم انشغالاته قبل ان يجني ثمار انتصاره علــى ايت بوحدو، ولكنه ترك ابنين[38]وصهرا سعيد وموحا والحاج علي تغمرهـم الشعاعة والطموح سيتممون انجازه.

سعيد[39] البكر، عين من طرف ايت حركات ليخلف اباه ، شن في الحيـــن

حراكات لتامين مرور قوافل التجار والمسافرين بين ضفتي ام الربيع عبر قنطرة البرج مقـــابل رسم للمرور بذلك سميت ايت حركات.

[36] في الكتاب موحا وعقا وهذا خطا ويعرف ايضا بالحاج حمو لانه ادى فريضة الحج مع اثنيـن من ابنائه هما الحاج حدو والحاج علي

[37] يعرف هذا الطين في المنطقة باسم اسكين " تسقف به المنازل لانه يمنع نفاذ مياه الامطــار ولا زالت عدة دور في خنيفرة والمنطقة مسقفة به الى يومنا هذا

[38] خلف حمو وعقا ستة ابناءهم الحاج علي ، الحاج حدو، ميعمي (الابن البكـــر) والحســين وبنعقى وموحا.

[39] في الكتاب سعيد وهذا خطا الان حمو وعقا لم يخلف ابنا بهذا الاسم فابنه البكر هو ميعمــــي وربما يقصد به احد اصهاره هو سعيد بنعقى وهو في نفس الوقت ابن اخيه.

حملة الاتمام نجاحاته وعمله وبسط سيطرته علـــى جميـــع كتلـــة زيـــان، اعترفت به مختلف العشائر كايت معي[40] وايت بومزوغ[41] ايت عـــلال او سعيد [42] واخضع بالقوة ايضا ايبوحسوسن[43] وايت بويشي[44] وكذلـــك ايـــت بوحدو هؤلاء الذين سرق منهم ابوه خنيفرة هذا يمثل خمسة عشرة ســـنة من الحروب المتواصلة الظافرة انتهت بالسيطرة على كل زيـــان. لكـــن الجيران الاقواء تخوفوا من القوة الصاعدة بجوارهم، اشقرن[45] المتواجديـــن بين خنيفرة وتادلة على ضفاف ام الربيع هاجموا سعيد وزيان، انها هزيمـــة نكراء سعيد قتل وفرقته تشتتت وعشيرته التجات الى حصون خنيفرة التـــي اوقفت غارة المطاردين في هذه الظروف خلف موحا وحمو اخاه ســـعيد سنة 1877 تطاير به الاخرون، فقد ساد الاعتقاد ان الحلم الكبير الذي خطـــط له الاب و شرع في تنفيذه الابن البكر قد تبخر الى الابد.

موحا وحمو له تقريبا عشرون سنة، كان قويا شجاعا، فارسا بدون منازع،

---

[40] قبيلة تقطن منطقة اكلموس تتشكل من القبائل التالية ايـــت منصـــور، ايـــت قســـو، ايـــت بوحسوسن، ايت يكن، ايت محمد، ايت عكي، ايت موسى.

[41] في الكتاب ايت مرزوغ وهذا خطا وتتشكل من القبائل التالية ايت احمـــد او عمـــو، ايـــت بوزمور، ايت بنيحيى.

[42] تعرف ايضا باسم ايت علا وهي فرع من ايت لحسن او سعيد التي تضم ايضا ايت بوهـــو، (احدانيثن ايت الحاج، إسواقيين، احماديثن، اعوذران) وايت خويا (ايـــت بوشـــرب، وايـــت سيدي احماد، ايت احماد او علي وابرباشن) وايت بنيشي (ايت اولعبي ايـــت حمـــو اويشـــي، وايت علي احدو) وايت موسى (اقلوجن، احراطيين، ايت بنموسى، اسرافيين).

[43] في الكتاب ايت بوحسوسن وهذا خطا وتقطن منطقة ازغار

[44] فرع من قبيلة ايت بوحدو تقطن منطقة ازغار.

[45] هي قبيلة من ايت امالو أي " اهل الظل" وتضم عدةقبائل كايت احند وايت يعقوب او عيســـى، وايت عموعيسى.

مصيبا في رميه ويضيف الىمحاسنه الحربية جسم مستحب احتفظت له الطبيعة بالخفة والانسجام متوافقين مع القد، النظر لامع والبشرة صافية تقريبا، مظللة انذاك بلحية قصيرة في طور النمو، لكن ترك في الحقيقة وحيدا ان صح القول علانية من طرف عشائره، محاصرا من طرف عدو لازال يتلدد الانتصار، عشائره ستتوحد فيما بينها مرة اخرى لكن ضده ربما بسبب الخوف او طمعا في الربح. داخل حصون خنيفرة ايت حركات وحدهم يحرسون المدينة، ويمكن القول عائلته الخاصة، لم تكن المدينة بالنسبة اليه سوى مالجا موقتا، حيث من الضروري البحث عن سند، انه الولي الصالح من اتباع سيدي محمد الثرقي46 الوقور بابي الجعد، المدينة

المجاورة، المدينة المجاهدة وعاصمة سهل تادلة، انه سيدي ابن داوود الشرقاوي [46]الذي قدم له دعما، السلطان مولى الحسن متواجد انذاك بتادلة مع محلة قوية لاخضاع المتمردين وتهدئة البلاد سيدي بن داوود اقترح على موحا وحمو الشاب تقديمة للشريف والحصول له على منصب قائد زيان. منذ المولى اسماعيل لم نشاهد ابدا عاهلا يقود قواته بنفسه، محاربا في البلاد قصد فرض سلطته، هذه ذكرى الماضي المجيد خلدتها قصبة ادخسال وقنطرة خنيفرة وحامية العبيد وسلطة مطلقة، انها ذكرى راسخة عند رؤساء زيان، ستجعله يدرك أي الثمار سيجنى من دعم السلطان له اذا كان سيسهر في الاطلس المتوسط على فرض الطاعة والاحترام

---

[46] هو الولي العاشر في شجرة الشرقاويين كان له تاثير على جزء كبير من زيان وكان عمره سنة 1883 يناهز التسعين وله حوالي 30 من الابناء والبنات انظر المصدر السابق ص 49-53.

للحكومة الشريفة. حسن اعطى الامان لبني موسى والحق ببني عمـــير[47] في سهل تادلة هزيمة نكراء واصطحب معه اكثر من اربع مائة اسير.

اثناء استراحته بابي الجعد، اصاب الذعر مختلف قبائل الســـهل فـاعلنت خضوعها له. موحا وحمو امتثل للمنتصـــر كمفــاوض ومتعــاون ليــس كمتوسل، الم يكن الان في الحقيقية قائد جميع قبائل زيان التـــي خضعــت الواحدة بعد الاخرى باسلحة ابيه واخيه وهو شخصيا؟ الم يتمسك بقصبتـــه في خنيفرة اجمل ممر على ام الربيع؟ الم يكن في مستوى قيـــادة جميــع سكان الجبال الذين يعرفهم ونحوهم يشعر انه الاسمى قوة وحداقة وشجاعة ناهيك عن الذكاء والدهاء والقسوة؟ اشقرن في النهاية هزموه ولم يغــامروا بمطاردته حتى خنيفرة، لان فروع زيان تخلت عنه فعليا وليس علانيــة اذا امكن القول، لكن اشعرهم رسميا بخيانتهم، لايمكــن اعتبــارهذه الهزيمــة كحدث حربي بلا اهمية، بالاحرى هي شهادة على نشاط ابناء حمو وعقــا عوض ضعفهم، الكل اعد جيدا، موحا وحمو كان متواجدا بـــابي الجعــد لملاقاة سيدي ابن داود الشرقاوي، الرجل الصالح الذي قدمه للمولىالحســن مدعما ملتمسه، ما سنتصوره لاعلاقة له بجمع او استثمار وثائق او تقــاليد عربية او ذكريات لتحديد ركن لتاريخ القبائل البربرية الجبليـــة، ســـنتخيل حوار الشاب الزياني مع السلطان، عجائب الحيل والمداهنة والاداب الـــى حد الروعة، الوصف الذي قدمه موحا وحمو لقلعته ولسلطته على قبيلتـــه ولاعدائه ولخطة عمله ولولائه، استمع اليه المولى الحسن بطيب خـــاطر،

[47] بني عمير وكذلك بني موسى هما قبيلتان عربيتان لكل واحدة تقريبا 3000 فارســا تعيشــان على الرعي والترحال وتستغلان الضفاف الخصبة لام الربيع في الزراعة، انظر المصدر الســابق ص 49.

وشجعه وايده وارتاح له، في الغد سلك الزياني طريق الجبل نحو الكـــرار ثم خنيفرة[48] واضعا في شكارته" الظهير الشريف الذي يعينه قائدا علـــى زيان ايت يعقوب[49] ومسطحبا معه جيشا صغيرا من ميلشـــيات الســلطان ثلاث مائة فارس تقريبا جد مسلحين ومزوديـــن بـــالدخيرة تحــت قيـــادة الرحا[50] الزكاطي.

جالت في ذهن موحا اثناء العودة احلام سيطرة الامس التـــي هـــي اليـــوم مشاريع وغذا حقائق، السلطان استدعى جاره محمد اقبلي وعينـــه كذلـــك قائدا على زيان ايت سكوكو القاطنين باراضي مريرت واولماس، هكذا في النهاية الدبلوماسي المخزني امن سلطته بواسطة قائدين كل واحد في امــس الحاجة الى مساعدته الانتصار على الاخر، هذه احسن ضمانة امـــام ايـــة محاولة للاستقلال والعصيان. بمجرد دخوله الى خنيفـــرة شـــرع موحـــا اوحمو في العمل دون تاخير ليس لارساء سلطته فقط للاستفادة ماديا مـــن منصبه الجديد كقائد لان الخزائن فارغة. اما العساكر كمـــا يطلـــق علـــى الجيش الافريقي أي الجنود النظاميين الذين توقعوا ايجاد الثكنة كالقصبـــات

---

[48] قرية توجد قرب مولى بوعزة.

[49] هي كتلة زيان التي تقطن خنيفرة ونواحيها وتتشكل من ثلاثة قبائل اساسية هي ايت شـــارد، ايت لحسن او سعيد، وايت حركات.

يتكون الجيش المخزني من عدة فرق منها " الرحا" وهي فرقة عسكرية ما بين 600 و 1000 جندي ويطلق على قائدها اسم " قائد الرحا" كما هناك ايضا " الميا " أي " المائة" أي فرقة تتكـــون من 100 جندي وقائدها يعرف باسم " قائد الميا" انظر

sociologie politique au MAROC cas Michau Billaire FAOUZI .M HOURORO P 43.

كذلك المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول (1873-1894) محمد العربي معريـــس جامعة الجزائر ص 90.

الجميلة لم ينالوا سوى زريبة للماشية محاطة باسوار من تراب، بنوا فيها اكواخا من التبن والخيزران، العساكر لم يكونوا مسرورين وابدوا استعدادهم لعمل أي شيئ قصد تحسين وضعيتهم، موحا وحمو في العمل دون تاخير ليس لارساء سلطته فقط ولكن للاستفادة ماديا من منصبه الجديد كقائد لان الخزائن فارغة. اما العساكر كما يطلق على الجيش الافريقي أي الجنود النظاميين الذين توقعوا ايجاد الثكنة كالقصبات الجميلة لم ينالوا سوى زريبة للماشية محاطة باسوار من تراب، حيث بنوا فيها اكواخ من التبن والخيزران، العساكر لم يكونوا مسرورين وابدوا استعدادهم لعمل أي شيئ قصد تحسين وضعيتهم، موحا وحمو ارسلهم بادئ ذي بدء ضد العشائر التي لم تعترف بسلطته حتى الان. هذه بعض الامثلة المرة في تغذية خزينته، الانتفاضات الاخيرة من حقهم لكن سمحت له بالتوجه نحو تادلة ضد اشقرن ونحو مريرت واولماس ضد زميله اقبلي، النتائج كانت سارة من هذا الجانب خاصة بفضل السرعة التي نفذت بها العمليات.

احد الشرفاء المدعو المولى عبد الواحد لمراني[51] المقيم بضواحي أولماس تولى بكل سهولة قيادة القبيلة المجاورة ايت عمرو اهم عشيرة في مجموعة ايت سكوكو والتي كانت رسميا تحت سلطة اقبلي، عبد الواحد

يرجع البعض اصل عائلة لمريني الى فاس والبعض الاخر يقول على ان اصلها الحقيقي ادريسي نسبة الى ادريس الازهر قرب مكناس وكان لهذه الاسرة اتباع من زيان وزعيم هذه الاسرة هو سي محمد لمراني الذي له ضريح قرب اولماس اما عبد الواحد لمراني الملقب بالاعور فهو احد حفدته. فقد كان له اتباع كثيرين داخل منطقة زيان وخاصة بين قبيلة ايت عمرو.(انظر كتاب كباء العنبر من عظماء زيان واطلس البربر ص :121).

استغل طابعه المقدس وحق اللجوء فاستقبل كل المستائين الفارين من ابتزاز هذا القائد او ذاك والذين اتوا لتعزيز صفوفه، موحا وحمو منح المساعدة والمساندة بدون مقابل لمنافسة اقبلي لمعاقبة هذا الشريف الذي عصا بجريمته النكراء اوامر صاحب الجلالة الشريف. موحا واقبلي نظما حركة قوية وشنا حربا على الشريف، في سهول زمور عند ايت حكم[52]، عبد الواحد انهزم ولاذ بالفرار

لكن لحقا به قرب زاوية المولى عبد القادر[53] وقتلاه، شعر موحا وحمو انه الاقوى واستاثر بنجاح العملية التي من اجلها قدم المساعدة لجاره وببرودة وضع ايت عمرو تحت قيادته، انها طعنة قاتلة لنفود القبلي الذي شكاه للمولى الحسن، السلطان ورد على طلباته بالدعم باجابات مراوغة، لمح له ان حماية حقوقه مسالة تخصه هو، استعمال كل الوسائل التي تبدو له مناسبة، الحرب منذئذ أعلنت بين الجارين، حرب الجبال، حرب زيان، نهب القوافل، الغارة على قطعان الماشية، ومهاجمة احدى الدشرات، النجاح كان حليف موحا وحمو الذي ضم قبائل منافسة كايت موسي وايت عثمان وجزء من ايت عبدوس، فيما يخص اشقرن انتصاراته لم تكن باهتة حيث رماهم برمتهم خارج اراضيه[54]. ثماني سنوات من الانتصارات

في الكتاب بني حكيم وهذا خطا وهي قبيلة تنتمي الى كتلة زمور قرب تيداس انظر الكفاح المسلح في حلقات من 1900-1935

تنتشر اضرحة الزاوية القادرية في مختلف انحاء المغرب لانعرف أي ضريح يقصد بالذات.

[54] عسكر السلطان سنة 1888 قرب ادخسال في المكان المعروف ب " اشنكور اويليد" لمحاربة اشقرن المتمردين على المخزن اواعداء موحا وحمو. بسبب قتلهم لعم المولى الحسن الاول المولى السرور. حيث حاربهم موحا حمو نزولا عند رغبة السلطان فالحق بهم هزيمة لكراء حيث اسر عدة عشائر كايت يعقوب او عيسى وجزء من ايت اسحاق فقام السلطان بنقلهم خارج

والكفاح المرير والنهب جعلت من موحا وحمو الفقير القائد المطـــاع فـــي كتلة زيان وأحد الاكابر في كل الجبال، رغم حروبه تابع مخططه ليجعــل من خنيفرة مدينة كبيرة وعاصمة. المال الذي سلبه للمنهزمين تكدس فـــي خزائنه ليستخدم لبناء اولى القصبات وجلب اوائل الحرفيين والتجار، عليهم اعتمد لتحقيق فكرته، معروف المولى الحسن من حين لاخـــر لايحرجـــه، فطلباته بالدعم والسلاح والدخيرة كانت دائما تلبى، وحاميته النظامية بلـــغ عددها تدريجيا ست مئة رجل[55]، انها محلة حقيقية بزعامة القـــائد الرحــا الزكاطي وادارة امين الصندوق الشريف المدعو امين العـــالف[56] وتحــت مراقبة المبعوث الخاص للسلطان مولى الحسن الشبوكي الذي جعــل منـــه موحا وحمو نديمه ورفيقه في الشهوة اثناء تواجده فـــي الجبـــال للصيـــد والحرب والمائدة والحب في هذه الفترة أي سنة 1886 دعا المولى الحســـن الزياني لزيارة فاس، موحا وحمو قبل الدعوة لانه يود رؤية بلاط السلطان والتباحث مباشرة مع تجار وحرفيي فاس في امور عمارة خنفيرة. رغـــم اعجابه ببدخ القصور وسحر الجنان الملكية ، اعرب للسلطان عن ارتياحــه وامتنانه الاستقبال الملكي الذي خصص له. لم يظل موحا وحمـــو جـــامدا

اراضي زيان الى ضواحي مولى ادريس زرهون قرب مكناس.

[55] اغلب الجنود النظاميين هم عناصر اجنبية عن زيان والجبل معظمهم من الحوز وبني حســـن وجبالا وشراردة والبواخر واسماعلا... انظر المصدر السابق M. LE .GLAY les sentiers de la guerre et de l'amour p 21.

[56] اسمه احمد الامين وهو مقتصد يلعب دور صلة وصل بين السلطان والجيـــش فيمـــا يخـــص التموين وتعيين الضباط والقواد وتنفيذ اوامر السلطان انظر المصدر السابق ص 21 .وكذلك la sociologie politique coloniale au Maroc p 43 وكذلك المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 110

طيلة مقامه في فاس بل اهتم بانجاز مخططه قصد توسيع وتعمير وتزيين عاصمته. فقضى الايام كلها في اشهار خنيفرة بين الاشخاص ذوي النفوذ وكبار التجار واحسن الحرفيين واشهر العمال. اعياهم وارهقهم هو ورجاله، فاغراهم بعروض ووعود وحصل في النهاية على مشاركتهم، موحا وحمو لم ينس في ذات الوقت الجنس اللطيف فالتقى بالمراة الوحيدة التي احبها دائما والتي اصطحبها معه الى خنيفرة وبنى لها اجمل قصباته، مكثت بها مدة ستة اشهر حيث رأيت ماضيه الجميل يطفوفوق نافورة الماء بالفناء الداخلي وعلى شبابيك النوافذ، تاريخ الدم والقتل والحروب والكذب والفجور مثلما تطفو فوق الصخور البركانية في السماء الصافية لبلاد زيان[57] قمم الاطلس المعدبة والموحشة.

المولى الحسن رجل نشيط، عليه ان يحترس بادئ ذي بدئ من نشاط القائد الشاب الحبلي، فقد اذن له بالعودة واعطاه في حفل رسمي ثلاثة مدافع اهديت له من طرف اليزابيت ملكة اسبانيا وخاتمه كقائد.رجوعه الى خنيفرة كان بمثابة انتصار له، فمعروف السلطان المتجدد والمدافع الثلاثة كانت شاهدا على تمام ارساء سلطته، ولمدة طويلة الجبليون النائيون ينزلون الى خنيفرة لمعاينة تلك الاسلحة المخيفة التي سمعوا عنها دون ان يروها، حيث لم يتمكن ابدا موحا وحمو من استعمالها،[58] لكن علاوة على

---

[57] تحد بلاد زيان بزعير وزمور الشلوح وبني مكيد واشقرن وتادلة. انظر المصدر السابق
V. CHARLE de Foucauld les intouvables p 46.

[58] هذا ليس صحيحا لان الجنود الفارين من المحلات الشريفة والذين عززوا صفوف الزيساني منهم مدفعيين مصوبين مثل السي العربي الطبيجي وسي الفالي ومريقة هذه الاسماء ذكرها احد شهود عيان يدعى سي محمد على من ايت خويا. كما ان معسكر الفرنسيين كان يقصف مرة او اثنين في الاسبوع وكان لهذا اثر بليغ على القيادة العامة والضباط والجنود. انظر كذلك :

زوجته ومدافعه فالزاياني جلب ايضا من فاس التجار والحرفيين وشخصيات دينية احد القضاة مولى علي بن محمد[59] الذي لايدري كيف تخلى عن مدينة محترمة. ليشكر السلطان او على الاصح ليعبر له عن امتنانه للاستقبال الذي حظي به في فاس اهدى له بنته البكر فطومة[60] لابنه عبد العزيز وهكذا اصبحت له مكانةفي القصر الملكي. تفاني في العمل قصد بناء المدينة وتنظيم الحكم كمرحلة اولى لحلم كبير كان هذا الجبلي المتوحش تصوره في شبابه واباح به فيما بعد لاقربائه، سيكون الاكبر بين الاكابر والاقوى بين الاقوياء، لم يتحقق ذلك الا ابان تدهور خلفاء المولى حسن الضعاف ولو كنا قد وصلنا انذاك لاعاده النظام لما نجح بعض الوقت في اغتصاب دولة المغرب

M.LEGLAY. les sentiers de la guerre et de l'amour p 165.

59 هو اخ القاضي الاول الشريف مولاي ادريس بن سعد الحسني التلمساني السالف الذكر صهر موحا وحمو.

60 تضاربت الاراء حول اسم البنت التي اهداها موحا وحمو للسلطان المولى الحسن الاول ففي بعض المصادر نجد اسم فاطمة او فطومة وفي مصادر اخرى رابحة وعند المسنين الذين عاصروا موحا وحمو منذ بداية هذا القرن اسمها " تاغدجات وحسب رواية احد المسنين يسمى محمد او علي ان القائد اراد اهداء بنته البكر التي تدعى فاطمة نعقا للسلطان وهي اخت شقيقة لحسن الا ان زوجته " هنواولخبار" عز عليها فراقها استعطفته فعدل عن فكرته نزولا عند رغبتها فزوجها لابن اخيه سعيد نميعمي. وفي سنة 1887 لما مر السلطان بخنيفرة متوجها نحو تافيلالت اهدى له احدى بناته رابحة تاغدجات وعمرها انذاك لا يتجازو 12 سنة انظر كذلك
M.LE GLAY les récits Marocaines des plaines et de monts p 252-255.

خنيفرة

عاصمة حكم زيان

نهر ام الربيع ينساب من الجبل، فبعد مختلــف المنعطفــات والشــلالات، يساير القاعدة ليخترق قبل وصوله الى سهول تادلة الكبرى سلســلة مــن الاحواض والخوانق التي كانت في بعض الازمنة الجيولوجية عبارة عــن سلسلة من البحيرات المرتبطة فيما بينها بواسطة انهار شــديدة الجريــان، اوسع هذه الاحواض هو حوض خنيفرة يصطدم النهر يســارا بحافــات الاطلس ليعبر الحوض قطريا حتى الدعامات الاولــى للمرتفعــات علــى ضفته اليمنى، ثم ينحرف من جديد نحو اليسار لينحرف مجردا عبر جرف البازالت الاسود كانابيب الارغن، وياخذ بعد ذلك مجــراه الــهادئ حتــى معابر ايت اسحاق التي تفتح له سهول تادلة وعلى طــول وادي خنيفــرة المياه الهادئة، عرضها حوالي ثلاثون مترا وعمقها متران.

المنعطف الذي يتلو صخور البازالت على اليمين، مجراه واســع يســمح خلال فترة من السنة بالعبور عبر الصخور البركانية والماء يصل الى لبان الجياد، انه سيل جارف صعب الاجتياز يصل الى عشرة امتار من العمــق، هنا بنى المولى اسماعيل القنطرة التي نراها حتى الان، بنيت بمثابة واثبــة كقوص قوطي او كظهر حمار،فتحة القنطرة نزعها الرجال بــلا شــك، الحمالون استعملوها باستمرار حسب الظروف في الحقيقة ليس بدون خطر على الماشية، حيث كانوا طيلة سنوات يرمون في الفتحة جدوع الاشــجار ويغطوها بالتراب، علي هذه الحالة وجدها موحا وحمو سنة 1886 لما شرع

في تاسيس مدينته.

فوق القاعدة البازالتية بالضفة اليمنى المتحكمة في القنطرة يوجد سور من التربة الجافة لعائلته مرتبط بمسكن من الطين الصلصالي لابيه، على الضفة اليسرى توجد ساحة واسعة خالية ومنبسطة يحيط بها منعطف النهر، اذ يكفينا سنة 1917 ان ننقيها من الاحجار لنجعلها حقلا جيدا لهبوط الطائرات[61]، فالساحة تحيط بها من جهة الاطلس الجبال والتلال، بحيث يكفي وجود اعين يقظة لتعرف في الحين ما يجري في الجبل وما سيحدث لكم انتم التجار او الفرق العسكرية من خير او شر. تصميم موحا وحمو كان بسيطا، التعمير لم يحيره قط، ستشيد المدينة على الضفة اليمنى ذات القواعد الصلبة المتحكمة في المعبر المنيع. اما على الضفة اليسرى صعبة المنال حتى بالنسبة لرعاياه والمتحكمة في منافذ الجبل وضفاف المعبر، سيكون الزياني وحده قصر من القرميد الاخضر مع حرسه الخاص وابنه البكر حسن، الابناء الاخرون امهروق، بوعزة، وميعيم وحفيده والعايدي[62]يكفيهم وجود عساكر السلطان للتحكم في المدينة وتحصيل المال.

اثناء اصلاح تقويسة القنطرة[63] وبناء القصبة الهادئة لموحا وحمو مع جميع مرافقيها أو لعايدي حفيد القائدي الرجل الوحيد الكفء في العائلة

[61] انظر مقالة عبد الله ابراهيم" موحا وحمو الزياني" مجلة نجمة القطب المغربية العدد 4 ماي 1988.

[62] في الكتاب العايدي وهذا خطا.

[63] اصلح موحا وحمو القنطرة التي شيدها المولى اسماعيل واستعمل في بنائها الحجر والجير وبيض الدجاج وللحصول على الكمية الضرورية من البيض للبناء، خصص مكانا لتربية الدجاج عرف باسم " بويفولوسن " في اسفل جبل باموسى يحمل الحي الحي نفس الاسم وحسب الرواية الشفوية ان الذي بنى هذه القنطرة يدعى " المعلم الصادقي وهو الذي بنى ايضا منزلا اولعايدي انظر كذلك المقالة التي كتبتها في جريدة " ATLAS ECHOS " تحت عنوان " القنطرة معلمة

مرافقيها أو لعايدي حفيد القائدي الرجل الوحيد الكفء في العائلة اداريا وفي التدبير العقاري اذا امكن القول، شيد قصرا قبالة القنطرة،مشرفا على طريق مختلف الجهات، متبوعا على الضفة بالدشرة القديمة المنفصلة على النهر بواسطة قصبة المفضلة التي جيئ بها من فاس الفاسية ثم بواسطة القصر المحصن لابناء القائد، هذه المنازل الفخمة تحتل واجهة المدينة بكاملها على ام الربيع في اعلى القنطرة. فوق قمة التلال الصغوى في المكان المدعو تاشنغوت [64]شيد منزلا ايضا للقاضي المولى علي بن محمد الذي قدم من فاس مع عائلته وفي نفس الوقت ثكنة لعساكر وقصبة لها اربعة ابواب [65]رئيسية بجانب قصر اولعايدي خلف باب المدينة المؤدي الى القنطرة، كما يفرض منزل ايضا وجوده لقائد الرحا الزكاطي قائد قوات السلطان، اسي قاسم البخاري الذي ربما خلف قائد الرحا الاول الزكاطي اذ لم يكن الكاكوري [66]الذي قيل انه قائد مشاة السلطان وجدنا له ايضا منزلا.

كان من المفروض وجود مسجد لا ليقصده موحا وحمو واتباعه لانهم ليسوا متعبدين ولكن كالمحكمةوالقاضي والثكنة والفرق الشريفة وايضا اشياء اخرى سنراها، تشكل جزءا من الزينة التقليدية والضرورية لمدينة كبيرة، المسجد بني علي ضفة النهر مباشرة بعد القنطرة بارزا بشكل

تاريخية خنيفرية العدد الاول 1995.

[64] في الكتاب تاشرنوت وهذا خطا.

[65] كانت لمدينة خنيفرة اربعة ابواب هي باب القنطرة او باب المدينة وباب بوعزة وباب سيدي وعياظ وباب ابا محمد هذه الابواب لم يبقى لها اثر نتيجة توسع المدينة.

[66] اغلب قواد عساكر السلطان المقيمين في خنيفرة لقوا حتفهم في خدمة موحا وحمو.

طفيف على خط قصبات العائلة ومشكلا الدرع الايمن لباب المدينة حراسة اكيدة وغير منتهكة بفضل طابعه المقدس.

في الساحة العليا للمدينة هيئت ارض لاقامة سوق للتجار المتجولين ينعقد مرتين في الاسبوع الخميس والسبت[67]، الشارع المؤدي اليه محاط من كلا الجانبين بمائة وثلاثين حانوتا مخصصة للتجار المستقرين في نفس الوقت قيسارية او سوق مغطى للمنسوجات الحريرية والتحف النفيسة، وثلاثون حانوتا منحت لتجار فاس شيدت جانبا تحت الحماية المزدوجة للمسجد والثكنة العسكرية. تلك هي البنايات المتوقعة والمنظمة والمنجزة من طرف موحا وحمو وعائلته ورجاله وجنوده، بالاضافة الى ذلك سنوات فيما بعد حمام، ومؤسسة الحمامات العمومية.[68] والذي شيد على الضفة اليسرى، ويعرض كل سنة لسمسرة عمومية. المنزل الابوي القديم منزل حمو وعقا الكائن وراء القصبات الجديدة لابنائه، منح للعبد فرجي خادمه وامين سره وروحه المعذبة، بواسطته يحتفظ في الضفة اليسرى على اذن حادة وعين يقظة ولسان وفي باقي المدينة سيشيد بغير نظام او تصميم، حينما يستقر التاجر او الحرفي يبني أي شيئ اما منزلا باللاجور المجفف بالشمس ويغطيه باعمدة والواح خشبية فوقها ينشر التراب، اذا حصل على القليل من الجير يحيط ساحته بسياج سيقيم فيها اناس بلاده اثناء مرورهم بخنيفرة. اولائك الذين استقروا فيها بنوا بدورهم اكواخا

---

[67] يعرف مكان هذا السوق حاليا بسيدي وعياظ.

[68] لم اعثر على اية وثيقة او أي مصدر يوضح المؤسسة العمومية او اختصاصاتها فحسب الرواية الشفوية ان موحا وحمو هو الذي بني هذا الحمام بجوار قصبته وجلب له الماء عبر قنوات من نهر ام الربيع الا ان هذا الحمام تهدم ولم يبق له اثر.

بجوار ابناء بلدهم وهكذا تشكلت داخل نطاق هذه الاحياء مجموعة دور في اراضي بور ذات ازقة مقززة وملتوية، ستتصل فيما بينهما بواسطة المد التصاعد لاكواخ[69] العاهرات. سنجد كذلك في خنيفرة حي الصحراويين الذين يمارسون حرفة الدباغة ويقيمون في دشرة ايت يحيى ملتفين[70] حول منزل رئيسهم سيدي عثمان الذي يملك فندقا يدعى سوق الحنا" فيه تباع علاوة على ذلك النبات الضروري للصحة كاحد مستحضرات التجميل النسوية، وقشور الدبغ ومعظم جلد النعل، انه ايضا سوق للجلود، يوجد به ميزان كبير لوزان الحمولات الثقيلة. اناس ابي الجعد كانوا اسكافيين مقيمين بجانب ابن بلدهم ادريس اوحدني الذي اصبح قائدا ومات في ادخسال. اما تجار المواشي فيقطنون انذاك دشرة الغني صالح ولد امانا من ابي الجعد، هذه التجارة كانت مربحة وقتئذ ويغتني من يعرف ممارستها.

كما خصصت لتجار فاس قيسارية تضم ثلاثين حانوتا بين المسجد والزاوية التيجانية[71]، هم اناس اغنياء جديين وعاقلين. فعائدات كراء الحوانيت (التسعون دورو حسني) المؤداة شهريا تنفق على المسجد،

---

[69] اغلب هذه المنازل في الحقيقة اكواخ مهجورة منذ ثلاث سنوات من الطين والاكواخ ما عدا البنايات التي بنيت بامر من موحا وحمو واناس من عائلته او من بيته، كانت منازل مخربة لما وصلت في 1917 الى خنيفرة. وبفضل العناية والابحاث المنجزة من طرف الضابط المترجم ابن داوود منذ وصولنا اليها سنة 1914 والذي تفضل باطلاعي على مذكراته، بها استطعنا اعادة تشكيل عاصمة موحا وحمو (صاحب الكتاب).

[70] توجد في خنيفرة دشرات استقر بها اناس اتوا من مختلف مناطق المغرب ربما يقصد بها " دشرة ايت يحيى اوغانم"

[71] لازالت الزاوية موجودة الى يومنا هذا بينما معظم الزوايا تقلص دورها ومنها التي اندثرت.

كالاصلاحات والحسائر وزيت القناديل وراتـــب المـــؤذن. اولائـــك مـــن تافيلالت كانوا اقلية يساعدون ابن بلدهم الزاكي محتكر السلع الـــذي كـــان يقرضها لصغار التجار اصحاب الحوانيت في السوق مقابل اداء شــــهري، عمل الزاكي لم يدم طويلا، فاجأته المنية تاركـــا ارملـــة وبنتـــا اشـــتهرتا بجمالهما، لن تتاخرا في نهج حياة فاسقة، ستبددان جميع ثروات المرحـــوم، لكن الطبيعة وضعت علاجا للداء، ادركتا ان الذي افلسهما يستطيع ان يعيد لهما ثرواتهما، هكذا نهضتا احيانا بمجهوداتهما بدل مجـــــهودات النســـاء الاجبيات[72] اللواتي منحنا لهن نصف المال والضيافة واشـــــعاع منزلـــهما وثرواتهما المتينة، انها التجربة الاولى من هذا النوع جربت في خنيفـــرة، وكانت مشجعة، سنرى كيف كان موحا وحمو دائما بالمرصاد لكل الوسائل سواء لربح المال اولتجنب انفاقه وعرف كيف يجني الاباح.

اناس سوس اولائك على الاقل مسكوا دكانا وكانوا مختصين فـــي البقالـــة ويقطنون في احدى جوانب الشارع دو المائة والثلاثين دكانا المؤدي الــــى السوق الجديد، حيث اكترى لهم بعضها بمتوسط اثنين دورو فـــي الشـــهر والزيت الضروري للزوايا، باقي الدكاكين كانت مستغلة من طرف التجـــار القادمين من فاس. خارج هذه المنازل نجد ايضا بعض البنايات من الطيـــن الصلصالي احداها جد واسعة بل مريحة في ملك رجال ذوي ثقة مثل عمر المراكشي[73] كان تقريبا مسؤولا عن الامن وعن مخازنية[74] اولعـــايدي،

[72] النساء القادمات من المناطق المجاورة قصد الاستقرار في خنيفرة.

[73] احد الجنود القدامى للسلطان دخل في خدمة موحا وحمو وعائلته.

[74] تعني مجموعة من فرسان البلد الذين يمثلون السلطة وينفذون اوامرها ومهمتهم الحفاظ علـــى الامن والاستقرار. انظر المصدر السابق

تتواجد هذه المنازل في مختلف احياء العاهرات حيث المراقبـــة تمـارس دائما بمنفعة كبيرة تلك للمعلم السروجي مولى مصطفى او ضباط الفـــرق الشريفة مثل الكاكوري والقائد عزوز الدكالي وتلك في الاخـير لمبـارك الشقرني[75] الذي يمارس في خنيفرة المهمة الصعبة رئيس بوليـس الاداب. توجد في اخر الامر زوايا، الاولى انشاها مرابط ابي الجعد سـيدي ابـن داوود مقابل مساعيه الحميدة، وهي زاوية درقاوة وقدمها لسـي المعطـي ويزورها اناس من ابي الجعد وكذلك اولائك من دمنات ومقدمهم كان هـو سي محمد العربي الدمناتي، الزاوية التيجانيـة تـهم بـالاخص الفاسـيين والجنود، المولىالحسن ارسل شخصيا مقدما لهذه الزاوية القادرية [76]لمولـى عبد القادر الجيلالي العظيم ومقدمها هو ابو عبد الله الصحراوي، واخـيرا عيساوة ممثلين بزاوية محمد الصديق [77]حيث لا يتخلـف عنـها اتباعـها القادمون من تافيلالت ودرعة او توات ايام الموسم يجدبون ويرقصون كما تقتضي الطقوس والتقاليد.

---

les sentirers de la guerre et l'amour p 16.

[75] يعرف باسم انبارش اشقير " نسبة الي قبيلة اشقرن.

[76] تحولت هذه الزاوية الى مسجد يعرف بمسجد الزيتون حاليا.

تعرف بالزاوية الصادقية كان لها اتباع كثيرون وخاصة قبيلة ايت حركات ومؤسسها سـيدي محمد بن عبد الصادق وتوجد الزاوية حاليا قرب الزاوية التيجانية لاتتبع هذه الزاويـة الطريقـة العيساوية كما هو وارد في الكتاب بل ان الزاوية من اتباع الشيخ مولاي عبد السلام بن مشـيش المشهور.

السياسة البربرية

ساصبح الاكبر بين الاكابر

والاقوى بين الاقوياء

موحا وحمو

السياسة البربرية

التوسع التجاري لخنفيرة كان سريعا، عمت شـهرة سـوقها كـل الجبـل والسهل حتى ابي الجعد ومكناس وفاس، هـذه الـثروة وهـذه الحيويـة وقصبات القائد وابناؤه التي تمثلت للبربر كقصور فاخرة والنشاط الحربـي للزياني الذي لايتوارى، كل هذا سيجعل من الزياني عما قريـب السـيد المطاع في كل البلاد. خضوعه للمولى الحسن كان احساسـا منـه بعـدم القدرة على مواجهته[78] ولكن لما توفي هذا السـلطان العظيـم واصبحـت السلطة بيد ابنه عبد العزيز تغير موقف موحا وحمـو، احـس ان سـاعة الاستقلال والحكم دقت واقتربت تلك المغامرة الكبيرة. السلطان الجديد هـو ايضا صهره لكن لايوجد أي امل ولو وجد لقامت فطومة يومـا بالتـاثير عليه، لان عبد العزيز اكتفى بقبول ما قيل له عن تلـك الفتـاة البربريـة ليحجزها في حرمه حيث لن يزورها ابدا.[79]

قريبا اهماله وعدم اهتمامه بامور المغرب وانشغاله بالقروض والدسـائس الدولية سيلوح في خنيبفرة، حيث اجور العساكر سـتصل بغـير انتظـام لتتوقف تماما عما قريب، وموحا وحمو استغل الفرصة فـأعلن اسـتقلاله ومنح الاجور لعساكر السلطان ووضعهم تحت قيادته الشخصية، الجنـود

---

[78] انظر الدوافع التي منعت موحا وحمو الدخول في صراع ضـد المخـزن انظـر المصـدر السابق ص 223-224 وكذلك المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 97.

[79] عرف ابناء المولى الحسن الاول عن الزواج ببنت موحا وحمو بسبب الجرح الـذي خلفـه مقتل الولي السرور على يد قبائل ايت اومالو انظر المصدر السابق : ص 256.

النظاميون للسلطان الذين عززوا صفوف حرسه وحرس أبنائه يســـميهم شناكط"[80] تكاثر عددهم بفضل دعاية بارعة، الفارون من المحلات الشريفة يجلبون للزياني وحدات عسكرية جديدة اما المستاؤون والفتيـان الاشــرار والمجرمون وقطاع الطرق وجدوا في خنيفرة ملجـأ آمنـا لاجتماعاتـهم، هؤلاء عديمو الضمير انتظموا في جيش مكون من فرق صغيرة تتالف كل واحدة من ثلاثين رجلا بقيادة اما ابناء القائد او ضباطه، يجوبـون البـلاد الممتدة بين فاس وصفرو وازرو ومكناس تحت شعار الاستعداد للجـهاد، ويغارون بغثة على دواوير نائمة، ناهبين قطعان الماشية التي اقتادوها الى خنيفرة، وسالبين القوافل في السهل وداهبين احيانا بـاعداد كبـيرة حتـى اسوار مكناس لنهب عدة احياء، كان رد فعل عبـد العزيـز ضـد هـذه الهجمات وهذا النهب الاكثر جراة كل يوم هو الرضوخ لشـروط أقبلـي المنافس القديم لموحا وحمو رغم تقلص نفوده ووسائل عمله، ارسل اليـه في الحين الف جندي اخذوا من محلته الشريفة لمحاربـة موحـا وحمـو ولبسط سلطته، عبث التضحية، لان جنود السلطان اجورهم زهيـدة وراوا رفاقهم القدامى اغتنوا بنصبهم وانضمامهم لخدمة القـائد، حيـث قضـوا حياتهم بخنيفرة في لهو فاجر داع صيته في كل الجبل، ففروا الواحد تلـو الاخر لتعزيز فرق الزياني.

عبد العزيز عزل وعبد الحفيظ بويع سلطانا بمراكش، هذا الاخـير اهتـم اكثر بقضية زيان عكس اخيه، فبالنسبة له من المسـتحيل مهاجمتـهم او

---

[80] تعني هذه الكلمة الاعوان من اهل البلد او الفارين من محلات السلطان الذين دخلوا في خدمة موحا وحمو وابنائه وليس المنحدرين من صحراء شنكيط كما يعتقد البعض انظر المصدر السابق الكفاح المغربي المسلح ص 50.

القضاء عليهم ومن جانب اخر شجاعتهم المتنامية وغاراتهم المتجددة حتى ابواب العاصمة الحقت ضررا مزعجا بهبة المخزن[81]، الا يستطيع مع شيء من الفطنة ان يجعلهم من جديد حلفاءه واتباعه ولو نظريا؟.

سيطرته على موحا وحمو ولو اسميا ستمتد الى جميع زيان وكل هذا الاطلس المتوسط واضعا في حساباته سيدا مختارا في مفاوضته مع فرنسا، سيجرب هذه السياسة مباشرة بعد مبايعته وسيفتح ابواب حرم اخيه فوجد بنت الزياني فطومة لازالت بكرا وقيل جد مسرورة واتخذها في الحال زوجة،[82] وابلغ صهره عن نيته في الدخول الى فاس عبر طريق السلاطين التي تمر بالجبل ببلاد زيان، ملتمسا منه ايضا حرية المرور والحراسة عبر اراضيه،[83] موحا وحمو امتثل للطلب ولم يتاخر عن الاعلان انه يضع تحت حمايته السلطان ومحلته اثناء تواجدهما في منطق نفوذه.

---

[81] ان السيطرة الشكلية لمخزن ليست دليلا على نجاعة الحكم ولا على الثقة المتبادلة بين المخزن والقبائل، لان هبة المخزن متوقفة على احترام شخص السلطان انظر المصدر السابق المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 148.

[82] كان عمر بنت موحا وحمو لما تزوجها مولىعبد الحفيظ حوالي 33 سنة بحيث قضت 21 سنة في دار المخزن بمراكش انظر مخطوط " كفاء العنبر من عظماء زيان واطلس البربر" لاحمد بن القاسم الزياني ص 148.

[83] فضل مولىعبد الحفيظ الانتقال من مراكش الى فاس عبر بلاد زيان لتجنب ملاقات الفرنسيين بالشاوية وكذلك بعض القبائل والزوايا المؤيدة لاخيه عبد العزيز مثل الزاوية الشرقاوية انظر

Revue du monde musulman 1913 vol 22 p 250-274.

Iteneraire de moulay Abd El Hafide de Marrakech à Fès 1907 –1908.

-les sentiers de la guerre et de l'amour p 25-

récits Marocainsdes monts et de polaines p 228-

– كفاء العنبر من عظماء زيان واطلس البربر ص 150.

اتجه شخصيا لاسبقبال العاهل مصحوبا بابنائه مؤازرين بفرقة نظامية جد مسلحة اثارت انتباه المولى عبد الحفيظ الذي شكره جزيل الشكر معلنا ان بمثل هذه الفرق الجيدة لن يخاف على امنه. بينما شناكطته يفتشون البلاد يمينا ويسارا وفي المؤخرات لتجنب اية مفاجأة لكن "الشناكط" هم اناس طائشون، المحلة الشريفة طويلة تجتر موكبا طويلا بدون حراسة جيدة، موحا وحمو استجاب لامن العاهل لكنه لم يقل شيئا اخر بالنسبة للامتعة، ولا يحب بتاتا التنقل هو ورجاله من اجل لاشئ.

في كل مرحلة تارة بالنهار وتارة اخرى بالليل جزء من الموكب ينهب بواسطة "الشناكط" الذين ينقلون الغنيمة الى خنيفرة لتوزع مع القائد، مولى حفيظ تجاهل كل ما يجري، الم يكن له هدف واحد حاليا هو الدخول بسلام الى فاس؟ لكن حاول كمغربي صالح الاستفادة من الوضع، فزاد في لطفه وطلب من موحا وحمو ان يصطحب معه الى فاس ابنيه حوسا وميعمي ليقضيا عنده بعض الوقت، الزياني ثعلب عجوز لايصطاد بدون حيلة، قبل بشرط ان يرافقهم حفيده اولعايدي الرجل العاقل في العائلة قصد ارشادهم، وللتفاخر سيصطحبون معهم خمس مائة فارس من زيان اختيروا في وقت الافتراق من حرسه الخاص. ذهبوا الى فاس في شتنبر 1908 عشرون سنة[84] بعد زيارة ابيهم الرئيس الصغير الجبلي التابع والمحمي من طرف المولى الحسن الذي تسلم منه تعيينه كقائد، ابنائه ضيوف السلطان بدورهم.

لم ترق القائد اقامتهم الطويلة حيث امرهم عدة مرات بالعودة وفي الاخير

---

[84] كانت زيارةموح وحمو لفاس في سنة 1886 بعد 22سنة

وجه الخطاب للسلطان شخصيا مما جعل المولى حفيظ يستجيب لرغبتـــه، لقد اراد الاحتفاظ باحد ابناء الزياني نصفه رهينة والنصف الاخـــر دليـــل تاثيره على قبائل الجبل، ولتحقيق ذلك اخبر موحا وحمو بتعييـــن حوســـى باشا على فاس[85] انها صفقة مهمة، القائد قبـــل العـــرض ونمـــى حرســـه الخاص واعاد الى خنيفرة ابنه الاخر وحفيده. لنتصور ماذا فعله في فـــاس؟ في فاس حكومة هذا الزياني الامي الذي يتكلم العربية بصعوبة يجهل كـــل

[85] هذا نص الظهير الشريف بعد الحمد والصلاة والطابع الكبير "خادمنا الأراضي الحسين فـــي جانبنا العالي بالله بالدلائل والبرهان اهل فاس المحروسة شرفاء وعلماء واعيان وغيرهم كافـــة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فان لنا فريد اهتمام بمعالم مدينتكـــم المباركـــة وحرصا كبيرا علىتمام استقامة اهلها وبقائهم في عافية كاملة وراحة شاملة وامن وامان وســـكينة واطمئنان مع حفظ نظام منافعكم ومرافقكم واسباب معاشكم وصيانة وجوه حرمانهم لما نعلم مـــن كثرة ضعفائها واهل المروءة العاجزين عن ملاقات عوارض الحوادث ومكابدة مشاق النـــوازل، ولاجل ذلك شرح الله صدرنا لتولية خديمنا القائد الانجدالحسين بن الخديم الانصح القـــائد محمـــد احمو الزياني عاملا عليكم لما هو عليه من وفور العقل وكمال الثبات والنزاهة عن الوقوف فـــي مرافق النزهات والتطلعات وكونه لازال على صبغة الله وفطرته التي فطر عليها، لايسلك مسالك الهوى ولا يتبع الاعواض الهاتكة لستر الاعراض مع عدم تقدم مخالطـــة لـــه فـــي بلادكـــم ولا مصارفة مع اهلها بها تفى في القلوب ضغائن او يحوي في النفوس نفورا وتباغضا لبعـــده عـــن جواركم الذي لايخلو اهله في الغالب من تلك العوارض زيادة على ماله ولابيـــه مـــن النصيحـــة الراسخة والمحبة الثابتة، وتوفر عصبيتهم وتعدد قبائل ايالتهم، فان له بعون الله قوة علـــى دفـــاع الطوارق واغلاق المخارق وقد اسندنا اليه النظر في اموركم، فنامركم ان تسمعوا لـــه وتطيعـــوه فيما يامركم به من امور خدمتنا الشريفة وتحقيقها المعتقد في كما طاعتكم وصدق محبتكم حتـــى تكونوا بتوفيق الله على اقوم سنن واسلم طريق لتفوزوا بمرضاة الله ورسوله وتحـــرزوا الحـــظ الوافر من خاطرنا الشريف محمد الله وقوته اسعدكم الله به واسعده بكم وقد جعلنا خديمنـــا القـــائد عبد الرحمان بن عبد الصادق خليفة عنه شدا لازره وتقوية لعضده ونائبا عنه في مقابلة الاحكـــام ونحوها ريثما يكمل تبصره وتتسم معرفته واطلاعه على الاحوال تحول الله فانـــه ايضـــا مـــن العقلاء الماموليين السالمين العارضين بالعوائد لتجروا معه على ذلك ايضا اصلحكم الله وارشـــده وارشدكم والسلام في 6 جمادي الاولي علي 1326 انتهى منه بلفظه".

حكومة هذا الزياني الامي الذي يتكلم العربية بصعوبة يجهل كل شئ عن ادارة المدينة ومهام الباشا، فاجر، محب للربح، قاس ولص وبلا حياء، محاط بخمسة مائة فارس وحشيي الطباع حيث السيف يحلل لهم ابتزازهم، موظفوه سيكرهون حكومته كما يكرهون هم اهل فاس[86]. كبار الموظفين والوجهاء استعملوا كل الوسائل لارغام السلطان على تنحيته، مولى حفيظ متشبث بالزياني الذي بالنسبة اليه حجة سياسية، لم يستجب لاحد حتى للقائد ابيه شخصيا، الذي طلبه في عدة مناسبات، لكن تواجد خمس مائة فارس من خنيفرة معسكرين بفاس ومائتي تاجر من فاس مقيمين بخنيفرة وايضا سوقين في الاسبوع يتردد عليها سكان المهل، هذا سيسمح بان يكونوا على علم بما يجري في عمق الجبل او في العاصمة. موحا وحمو خاف على حرية وحياة ابنه ليس من السلطان ولكن من سكان مجهولين لايحصون قادرين على كل شئ للتخلص من حكم مقيت ملعون. بجمع ثروته ورجاله والرحيل ليلا دون ان يشعروا به والوصول الى الجبل قبل ان يلحق به مطاردوه. احس حوسى هو ايضا ان الأمور ليست على مايرام، فآتبع أوامر أبيه، وفي ليلة جميلة بالحداقة والخطة المعهودتين عند البربر، رحل أسلحته وأمتعته وسلك طريق الجبل، السلطان لم ينظم المطاردة الا عند طلوع الفجر، كان متقدما، ورجاله متفوقين في الركوب، بواخر السلطان الذين ارسلوا في اعقابه لايخشون سوى الاحتكاك بخمس

TOURNEAU FES AVANT LE PROTECTION.[87]

étude économique et sociale d'une ville de l'occident Musulman . Edit – la PORTE RABAT 1987 P 29.

لما خرج حوسا بن موخا وحمو الزياني من فاس اخذ فضل معزة وفركها وشمهاوقال " شم فضلة المعزي ولا قصور التوازي" انظر تاريخ بلدة خنيفرة ص 37.

مائة شيطان يعرفون جرءتهم ودقة نظرهم. حوسا التحق بخنيفـــرة مــع جميع رجاله وكل امتعته التي تتمثل ثروة، كانت هذه نهاية العلاقات بيـــن موحا وحمو والمخزن[87] لاتوجد منذ الآن علاقات أخرى ممكنــــة ســوى التمرد العلني والهجوم على مكناس وفاس والحرب من اجل السلطة ضـــد الشرفاء العلويين[88] لا نعرف لاي جهة ستميل الكفة، لكن عنصــرا اخــرا دخل في المعادلة المغربية هم الفرنسيون، نزلوا وشرعوا في فرض النظام بالشاوية،[89] موحا وحمو لايعرفهم لكن احس بوجود عـــائق اخــر امــام مشارعه بغض النظر عن مولىحفيظ، فقد تخلى مؤقتا عن فاس والمخــزن ليواجهنا لاننا حضرنا لافشال مشارعه الطويلة فهي كل غضبه وهيجانـــه وفرقه التي لاتقهر، كان هذا بداية النهاية.

---

87. لم يقطع موحا وحمو علاقاته بالمخزن بصفة نهائية بل كان هنـــاك تواصـــل فـــي الاعيـــاد والمناسبات بتقديم الهدايا للسلطان، انظر تاريخ بلدة خنيفرة ص 47-48.

88 لايمكن اعتبار السيبا باي حال من الاحوال وفي أي وقت من الاوقات موقفا ضد السلطان بـل هي ثورة ضد السياسة الجبائية الجائرة انظر la sociologie politique coloniale au Maroc p 88.

المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 97.

89 انظر كتاب انتفاضة الشاوية لاحمد الزيادي منشورات عيون ومقالات البيضاء الطبعة الاولـــى انظر كذالك كتاب التدخل الاجنبي و المقاومة بالمغرب 1894-1910 حادثـــة الـــدار البيضـــاء احتلال الشاوية. افريقيا والشرق 1991.

الادارة المالية

هذه السياسة الخارجية اذا امكن القول، تكشف لنا عن الرجـــل العنيـد والداهية الذي ينتظر بصبر الفرصة ولا يضيعها ابـــدا، كـــالذئب مســتعدا للانقضاض، جائع وحذر، وحيد وصامت في الطريق، هو الاقوى لقيـــادة قبيلته، هذا يوضح لنا قسوته وضراوته، ولا يتراجع امــــام أي عقـــاب او تعذيب او نهب لارساء سلطته العليا، قيادته دامت ستا وثلاثين ســـنة هـــي بالنسبة لاتباعه ستة وثلاثون سنة من الرعب. شناكط هــؤلاء الخـــارجون عن القانون والقادرون على كل شئ، كان لهم نصيب في النهب والسهرات الدموية الماجنة، فمراقبتهم كانت صارمة بحيـــث تقطـــع لـــهم الـــرؤوس كاقصى عقوبة، موحا وحمو وابناؤه يجوبون البلاد ناهبين ومعاقبين بـــالقتل لادنى تردد يبديه الجبليون في الاستجابة لطلبهم مال اوماشية او نســـاء[90] وأبناء.

هذا يسميه الزياني وكذلك الاخرون اســـتقلالهم " فلمــاذا قاومنـــا حتـــى الموت؟ هكذا كانت سلطته ابان وصولنا، اوامره نفذت فـــي الحـــال مـــن طرف الجميع بترك الاراضي والمنازل والحقول والادوات ومرافقته نحـــو الجبل[91].

---

[90] كان سبي النساء من ازواجهم امرا طبيعيا في الجبل انظر المصدر السابق
VICONTE CHARLES DE FOUCOULD les introuvables p 156.

[91] امر موحا وحمو بقتل ايا كان رجلا او امراة حاول البقاء بالمدينة في انتظار العدو انظر :
Maurice le Glay les sentiers de la guerre et de l'amour p 146.

الإدارة بخنيفرة كما تصورها، أنجزها وفق رغبته، انها تتمم صورة هـذا البربري من الاطلس المتوسط وتجسد الحد الاقصى لمساوئ ومحاسن جنسه، راينا انه لايقيم ابدا بمدينة خنيفرة، يعيش وحيدا مع ابنه البكر على الضفة اليسرى لأم الربيع داخل قصبته الواسعة[92] التي تأوي أيضا فرقه الخاصة ونساءه وثروته، فضلا عن ذلك ان اقامته كانت قصيرة وخاصة إبان فترة الاضطرابات الجوية وتساقط الثلوج، وبمجرد حلول فصل الربيع يعود الى الجبل مع جميع محلته وخيامه الكبيرة، [93]حنينه الى جولة على الحصان ومعسكر متنقل للصيد والحرب والفضاءات الواسعة، في النهاية هذه الحرية، الاسوار بالنسبة اليها هي عائق بسمكها وجمودها، فعودته من حين لاخر الى خنيفرة هي للمراقبة او لاقتسام او لتخزين الغنيمة او لتحصيل الرسوم والأتاوات بفضل الرعب الذي يضفيه حضوره، او لإصدار احكام وفي الاخير وبكل بساطة ليتسلى. ابناؤه لايقيمون فيها طويلا لانه يخاف عليهم من الليونة التي تفرزها الحياة المريخة والعاطلة الحضرية، كما هي داخل قصباتهم الغنية بالمدينة حيث تتوارد عليهم الهدايا نقدا وعينا من التجار الخائفين لينالوا رضاهم، فارغمهم على مرافقته في جميع تنقلاته وكل رحلاته، الوحيدين اللذان لهما وظيفة قارة رجل الثقة الزنجي فرجي وحفيده أولعايدي الذي كان امينه الثاني واصبح حوالي 1905 الحاكم الحقيقي للمكان. لم يقطن أي عضو اخر من القبيلة في المدينة والملازم الاول ابن داوود حين وصولنا سنة 1914 توصل الى

[92] لم يتعود موحا وحمو ان يعيش تحت أي سقف بل كان ينصب الخيام امام قصبته على بضعة امتار من القنطرة انظر المصدر السابق 270

[93] كان يعتمد في نقل خيمته على اربعة جمال واثنان من البغال المصدر السابق ص 263.

احصاء للسكان الفارين، احصاءا حقيقيا تقريبا، استثنى عشـــر اســـر مـــن زيان تعتمد في عيشها على اسرة القائد بينما تضم خنيفـــرة 1230 كـــانون تتشكل كما يلي

- اناس من فاس (بصفة عامة تجار)	200
- اناس من سوس (بقالين)	80
- اناس من الصحراء (دباغين، سروجين وحرفيين)	300
- اناس من ابي الجعد (اسكافيين)	100
- بني زمور واسماعلية (مؤخرة بلاد ابي الجعد - نحو السهل)	30
- اناس تادلة	100
- الصراغنة	90
- بني احسن	40
- البواخر والشراردة (جنود قدامي لدى السلطان تجذروا في البلاد واصبحـــوا تجارا لما توفق السلطان عن اداء اجورهم)	200
- العاهرات	200
- زيان طلبة	10

اهتم موحا وحمو بلا شك بنظافة المدينة التي لم تخصص لها أية ميزانيـــة او موارد خاصة، لكن منذ البداية حفيده اولعايدي كلف خصيصـــا للســـهر عليها، كل مالك من واجبه تنظيف وصيانة الطريق أمام منـــزله وإزالـــة

الأزبال إما بنفسه أو بإعطاء أجرا زهيد للسجناء أو بعض المحتاجين الذين يعيشون من هذه المهنة الحقيرة، يقوم أولعايدي كل يوم بجولة في المدينة مع خليفته عمر المراكشي ليتأكد من تنفيذ أوامره حيث يعاقب أدنى إهمال بغرامة باهضة ومن جهة أخرى تساعده الشرطة في هذه المراقبة.

وتتكون شرطة المدينة من عدة موظفين اختيروا كلهم من بين الأقرباء والخدم المحيطين بالقائد، يحرسون المدينة ليلا ويحضرون جلسات القائد، في المحكمة [94]نهارا، يدخلون المتقاضين ويذهبون للبحث عن الشهود او المنحرفين، في النهاية ينفذون الاحكام التي نطق بها القائد والجلسة منعقدة والتي كانت بلا آجل ولا استئناف، ويظهر علىكل حال أنهم أصبحوا جديين، وبناء عليه فكلما ارتبطت قضايا المتقاضين بعادات أو تقاليد حرفتهم، يستدعي أمين هذه الحرفة لاستشارته، وبذلك احتفظ الأمناء ببعض السلطة في الامور التي تهم هيئتهم الحرفية، يلتزمون أمام القائد بعمالهم وأيضا بتوزيع العمل وانتاج المواد الضرورية بالكميات التي تكفي للمدينة والقبيلة.

رأينا أن الزياني قد جلب من فاس أحد القضاة مولى علي ليحكم بالشريعة وهي القانون القرآني الوحيد المقبول من طرف المسلمين، في الحقيقة

---

[94] المحكمة هي عبارة عن ساحة بين قصبة موحا وحمو والقنطرة بحيث ان موحا وحمو كان يجلس في شرفة مطلة على الساحة فتعرض عليه القضايا ثم يصدر احكاما كانت تنفذ في الحال امام الملأ فحسب احد شهود عيان يدعي محمد او علي انه يوما اعدم شخصا يدعي موحسي لعبيشة لانه سرق " قرعة وكان هذا عبرة للاخرين بحيث انقطعت السرقة في خنيفرة ونواحيها مدة طويلة.

القاضي والابعة هم[95] بالنسبة اليه مستشارون وعدول"[96] ولم يـأت بـهم الى خنيفرة سوى من أجل تهدئة الحساسيات الشديدة والقديمة لأناس فـاس حيث لانفهم ولا نعلم لماذا آستقروا في مدينة بدون قاض؟ ولا يصـدرون أي حكم قبل عرضه على القائد؟ في الواقع موحا وحمو كان غيورا علـى سيادته ولا يسمح بوجود سلطة الى جانب سلطته، ولا يقبـل التبـاطؤات وشكليات الشريعة، ويكره الناس العارفين للقران والكتابة، ويمقت الطلبـة على كل حال لم يعترف بالشريعة لعدم جدواها في المسألة المغربية[97].

اذا تنصيب احد القضاة بخنيفرة لم يكن سوى حداقة سياسية اضافية. مولـى علي فهمها منذ اول وهلة فتنازل عن استقلاله القضائي الذي اصبح بيـن يدي القائد، موفق لم ينساه البدا، امن له بلا شك منصبه الذي احتفظ به الى ان هاجر خنيفرة نحو الجبل. علاوة على الشرطة القضائية التي بيد القـائد، وشرطة البلدية بيد اولعايدي، هناك في خنيفرة مصلحـة هامـة لـلاداب اسندت لمبارك الشقرني، اولى العاهرات المقيمات في خنيفرة كانت ارملـة وبنت المقرض الاسبوعي من تافيلالت الزاكي والنساء القادمات من خارج المدينة اللواتي منحنا لهن الضيافة، لكن عددهن في تزايد مسـتمر موحـا وحمو منح لهن حق الاقامة، والواحدة بعد الاخرى بنين منازلا هي عبـارة

---

[95] هم حفظة القران والعارفون بمبادئ العلوم الدينية واللغوية انظر " الوثائق" مجموعة دوريـة تصدرها مديرية الوثائق الملكية 1977 ص 23.

[96] يتم اختيار العدول من بين الطلبة المتفقهين في الدين والذين لهم سلوك محترم. المصدر السابق ص:78.

شككت كل الدراسات الاستعمارية في اسلام البربر لانهم يحتفظون بعادات وتقاليد كـالعرف ازرف" انظر المصادر السابقة.

عن اكواخ او مساكن وسخة في اراضي بــور، تحيــط بمـــنزل امبـــارك الشقرني ومنزل القائد عزوز الدكالي ضابط وقــــائد عســاكر الســلطان، حصينا مائتين حين وصلنا، والعدد مبالغ فيه مقارنة مع عدد السكان الذيــن لايتجاوزون ألف كانون كأن لهن آنذاك علاوة على مشـــــاغلهن الحرفيـــة الخاصة عمل يكلفهن به القائد، مهمتين عموميتن نوعا ما، إحداهما كـــانت توفير الإقامة لجميع الضيوف والزائرين للزياني ولابنائـــه وكــذا جميـــع العدول المارين بخنيفرة[98]. امبارك هو المكلف إذا أكـــن القــول ببطـــائق الاقامة، اعدها لتتوافق قدر المستطاع مع سن ووضعية وأذواق الزائريـــن. أما أولائك الذين يتميزون بكبر سنهم أو طابعهم المقدس يستطيعون الإقامة في المنزل الصغير للضيافة الذي كان موحا وحمو قد بنـــاه وراء قصبـــة أولعايدي بجانب قصبة خليفته عمر المراكشي.

المهمة الأخرى فرضت عليهن وكانت العناية بالعمال الفلاحين كثيرة العدد الذين يجلبهم القائد وأبناءه كل سنة من البلاد المنبســـطة قصــد الحــرث والحصاد والدراسة، اعمال لاتليق بمقام الزياني وعائلتـــه ورجالـــه، كـــل حصاد يعين له الشقرني اسمياعاهرة، هذه الأخيرة يلزمها كل يوم إعـــداد فطور الصباح وإيصاله له إلى الحقل ثم تتفرغ لحاجيات المنزل، كما عليها ان تتواجد في المنزل عند عودة العامل يجد عشـــاؤه ومســكنه والبـــاقي، والمواد الغذائية كانت على نفقتها، لكن بمجرد انتهاء مهمتـــها لاتتعـــرض

le sociologie politique colonile au وكذلك trouvables p 84-85 V.C. foueauld les I Maroc p 126.

[98] كان ضيوف الزياني يوزعون على سكان خنيفرة وهذه عادة لازالت منتشرة بين قبائل زيـــان الا انها حاليا انحصرت في المناسبات والمواسيم.

لاية مضايقة، وتصبح حرة في الذهاب متى شاءت وإلى ما تشاء بالنهار الليل من غير أن يكون لعشيرها الحق في ممارسة أية رقابة على سلوكها الذي لايقومه سوى امبارك الشقرني ذو مسؤوليات الصعبة والمرهقة جيدا.

"التفكير في التعليم ليس ارضاء لموحا وحمو الأمي الذي منع كل ابنائه من تعلم القران خوفا من أن تنسيهم دراسة اللغة العربية مهنة السلاح قائلا لاأريد أن يصبحوا جبناء كالطلبة ويفضل أن يصطحبهم للمعارك، ففي يوم امتطى فرسه وعض على الزمام وعلى دراعه الايسر ابنه البكر حسن وعمره سنتان ليبين له كيف يحرز على النصر

الوحيد في العائلة المتعلم كان هو حفيده أولعايدي يقرأ الحروف بسهولة لكنه يجد صعوبة في الكتابة، ومع ذلك لم يمنع هؤلاء الأربعة الطلبة" أعداءه اللدودين والقاضي شخصيا من فتح كتاتيب قرانية[99] ليتردد عليها ابناء تجار المدينة وخاصة الفاسيين، ولا أحد من زيان إن صح القول أرسل إليها أبنائه.

الملازم الأول ابن داوود وقبطان مكتب الاستخبارات بخنيفرة قالا لي سنة 1917 أن عدة ألواح مستعملة تركت في ممرات الكتاتيب تبرهن عن اهتمام السكان بتربية أبنائهم أدى فحص هذه الألواح إلى استنتاج هو أن عدد

---

[99] كان التعليم يشرف عليه " الطلبة" وكان هذا التعليم مزدهرا وفعالا في الجبال اكثر من السهول انظر المصادر السابقة

M.LE GLAY les sentiers de la guerre et de وكذلك la sociologie politique P 90.
l'amour p 159.

المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 156-157.

من التلاميذالمترددين على الكتاتيب القرانية كانوا جد متقدمين في حفظ القرآن ومنهم عددا حفظوه تقريبا بكامله، خطهم كان منتظما والإملاء صحيح، وفي مختلف المنازل وجدنا في الدفاتر درسا في النحو العربي ألقاه ربما القاضي المولى علي، ووجدنا أيضا بعض الكتب المطبوعة لمختصرات في النحو والعروض وعلم النجوم وأوراق كتبت عليها الاذكار، صيغ الصلاوات وابتهالات العقيدة المتداولة في الزاوايتين التيجانية والدرقاوية

"لم يول موحا وحمو للصلاة آهتماما أكبر من التربية، ولم نراه يصلي رغم أنه يعرف العربية" ، لايدخل مسجدا للعبادة، القاضي المقدام تأسف كثيرا العصيان سيده فتشجع يوما ليذكره بتواضع تام أنه مسلم وتلاوة بعض الأذكار في اليوم لن تكلفه عناء كبيرا، وستجلب عليه وعلى عائلته بلا شك البركة الإلاهية، ضحك القائد وأشار بسبابته نحو مولى علي الخجول من شجاعته، قائلا هذه السبابة لا تعرف سوى الضغط علي قرص بندقي لماذا تريدها أن تتلعم التسبيح؟[100]

كما هو الشان بالنسبة للتعليم لم يعارض في انشاء مسجد بخنيفرة بل شجع شخصيا علي بنائه وساعد على إقامة أربعة زوايا لأكبر الطرق الدينية بالمغرب، التيجانية والدرقاوية والقادرية لسيدي عبد القادر الجيلالي والعيساوية، منحهم حق جمع الصدقات أيام السوق، وفرض علي البقالين من سوس تزويد القناديلل بالزيت، ووهب للأحباس عدة منازل وفنادق فأعطي مثلا للتجار ليقتدوا به، موارد هذه الأملاك المحبسة منحت

---

[100] انظر المصدر السابق .Maurice le Glay p 263 les Recits Maroc:

لأولعايدي الذي أمسك حسابا دقيقا يسلمه لموحا وحمو ليصرفه في صيانة المسجد حسب هواه ودون مراقبة أو تخوف من نوايا الواهبين.

أسندت صيانة المسجد لرجل من الصحراء هو عمر الغريسي المؤذن، فالسكان يترددون عليه بآستمرار وتقام صلاة الجمعة في حفل ديني كبير بحضور حوسى ابن الزياني الذي كان باشا على فاس، الوحيد الذي يتردد على المسجد بحضور أولعايدي ومرفوقون برجالهم ومؤازرين بالقاضي الذي يتولى وظيفة الامام الخطيب. الحفلات الدينية تقام وسط حماس كبير، وتتيح الفرصة لأفراح كبيرة أيام الصوم والإمساك والزهد، ولم تكن كذلك كما تقتضيها الديانة في بعض الأيام من السنة. فرمضان يمر بشكل جيد عند العامة وعكس ذلك عند الخاصة، لاأحد من أبناء القائد وقلة من سكان خنيفرة يصبر أثناء الصوم على إغراء برميل خمر [101] او امرأة حسناء.

لان خنيفرة ظلت دائما كما أراد الزياني وأبناؤه، مدينة التجارة والمضاربة والمال الحرام المربوح دائما بسرعة والذي يعود عبر منحدر طبيعي إلى أماكن اللهو والحانات والفتيات والعازفات على الناي والطبل، يقال الشهوات الماجنة والدعارة ماذا أعرف أيضا؟ لماذا هذا الكلام القبيح؟ هذه الأمثلة تتعاقب بسهولة الواحدة بعد الاخرى، ألم نر في الدار البيضاء عند نهاية الحرب وفي بوردو وباريز وفي مكان اخر نفس الرغبة السريعة والماجنة، ونفس التسهيلات النقدية والموكب الخالد للحرب الذي يجتر معه التهديد المباشر بالحرب والموت ومواد كثيرة للنهب كما هو الشان بالنسبة

[101] لم يكن الخمر معروفا في خنيفرة أو الجبال قبل دخول الإستعمار إلى المنطقة والمشروب الذي كان سائدا ولازال هو الشاي أنظر كذلك تاريخ بلدة خنيفرة ص 40.

للقبائل المنهزمة بالقوة في خنيفرة او في بلاد المتحضرين الاخرين.

الجيش النظامي بخنيفرة ممثل كما رأينا فيما قبل بحامية من 600 رجل أرسلهم المولى الحسن لموحا وحمو، نظاميو السلطان لايمكن إغفال عددهم، لأن جيش المولى الحسن بزعامة القائد العام ابن يعيش كان منظما بشكل لايصدق، أحد الإسبان السيد كيخادا وكوتييريث Sr guijada y gutierrez توفي بآسفي سنة 1895 بعد أن قضى جزءا كبيرا من حياته في المغرب (ولد سنة 1830) ترك بصفته شاهد عيان كتابا حول زيارة المولى الحسن لدار البيضاء سنة 1876 سنة قبل اجتماعه في أبي الجعد بموحا وحمو، الكتاب نشره السيد كاريير M. THCARIERE في مجلة فرنسا – المغرب 1923.

قدم السلطان مع جيش قال صاحبنا الإسباني أنه يتكون من 18000 رجل من المشاة والفرسان والمدفعيين، وتتألف المدفعية من 22 مدفع من مختلف العيارات و 14 رشاشا صغيرا هي هدية من القوى الأوربية، من الضروري تسجيل أنه في السنة الموالية حظي المولى الحسن ببعثة عسكرية فرنسية[102] إلى جواره أسندت لها مهمة تنظيم مدفعيته، فرسانه يرتدون زيا ملونا بالاحمر والازرق والابيض مع طربوش مغربي أحمر، والفرقة الموسيقية العسكرية الملكية[103] تضم عشرين آلة كلها أوربية برئاسة أحد الاسبان يدعى اثانكورن AZANCURN.

[102] بلغ عدد البعثات العسكرية في أواخر عهد المولى الحسن الأول خمس بعثات عسكرية أولها كانت فرنسية 1876 وقد تكفلت بتدريب فيلق الرماة بمراكش انظر المصدر السابق المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول ص 118.

[103] كانت الفرقة الموسيقية تتالف من ثلاثين عازفا انظر المصدر السابق ص 11

استقبل السلطان يوم 18 مارس 1876 في الحادية عشرة والنصف صباحا، نواب القناصل والتجار الاجانب والفرسان شكلوا حاجزا مضاعفا من المعسكر حتى منتصف طريق المدينة، وفي وسط المعسكر مربع كبير من الجنود مكون من أربعة صفوف خصصت لآستقبال الرؤساء، الأوربيين حيوا تحية عسكرية، لما دخل هؤلاء وبمجرد ما سمع الجنود صوت القائد آستراحوا، إنه تجديد في هذا البلد، إذا كان النظام قد ساد بينهم، تجدر الإشارة إلى أن رواتب هذه الفرقة وتموينها بالدخيرة كانتا منتظمتين ومضمونتين من طرف السلطان،حتى إبان السنوات الأولى لحكم المولى عبد العزيز، فخلال هذه المدة، القائد لاعلاقة له بقايدة أو إدارة هذه المحلة الشريفة التي تسير بواسطة أمين الصندوق الملقب بأمين العالف، وقائد الرحا الأخير توفي هو أيضا اليوم ويسمى الطبجي سي قاسم البوخاري.

علاوة عن الضباط، السلطان له في خنيفرة مبعوث خاص لدى الزياني مولى الحسن الشبوكي، الذي عرف القائد بلباقة وذكاء أن يجعل منه نديمه الإعتيادي ورفيقه في الملاهي. فحامية خنيفرة تشارك غالبا الأحيان في الحملات ضد القبائل التي كانت في حرب مع موحا وحمو، لكن إبان الاضطرابات التي تسبب فيها مولى حفيظ الطامع في العرش، والصعوبات السياسية والديبلوماسية والمالية التي تخبط فيها مولى عبد العزيز، حامية خنيفرة ستنسى عما قريب، الضباط والجنود لن يتقاضوا رواتبهم، الفرقة ثم تسريحها، أغلب جنودها آستقروا في البلد بصفة دائمة وتزوجوا بها، بعضهم دخل في خدمة شناكط أو الحرس الخاص لموحا وحمو أو أبنائه، والاخرون أصبحوا تجاراء الفرق الخاصة للقائد تعززت باستمرار أولا بجنود أرسلهم عبد العزيز لأقبلي الجار المنافس للزياني، فدخلوا جميعا في

خدمة الذي أجبروا على محاربته، ثم عدد من الفارين تركوا المحلة الشريفة بعد أحداث فاس في 1912[104].

بالنسبة لثلاث قطع من المدفعية للملكة إليزابيت التي وهبها له فيما قبل المولى الحسن، خزنت لعدم آستعمالها[105] في قصبة حسن فوق أقلال، دعامة الاطلس المشرفة على سهل خنيفرة بالضفة اليسرى لأم الربيع، ومنحت سنة 1912 لأحد الفارين من فاس ادعى أنه مدفعي مصوب، ولما وصلت كتيبة كلوديل CLAUDEL سنة 1914 ، حسن أطلق من بعد 2000 متر بعض الكور على معسكرنا، كان يسقط بعيدا ويتدحرج نحونا عبر المنحدر، الحادث لم يقع إلا مرة واحدة في فوهة المدفع ليس بدون خسارة بالنسبة للمدفعي ومساعديه، هذا وضع حدا لمفاخر مدفعية موحا وحمو.

من الصعب تحليل مالية موحا وحمو الذي يجبي من قبيلته الضرائب الشرعية كالأعشار والزكاة ثم الصدقات وضريبة على الأفراد[106] بآسم السلطان، لكن في الواقع كل الأموال تبقى في خزائنه دون أن يرسل أدنى فلس لعاهله، كانت له موارد منتظمة بالإضافة للضرائب ورسوم المدينة

---

[104] شهدت مدينة فاس سنة 1912 احداثا ناتجة عن محاصرة القبائل الجبيلة لمدينة فاس وكذلك ثورة القوات الشريفة ضد التدخل الفرنسي في فاس انظر

la paix au Maroc Mony SABIN collection du temps présent 4ème édition p 25-26
le Maroc collection des terres Françaices publiée sous le patronage du comité Nationale des conseilles du commerce interieur de France édition société Françaice d'éditions p 45.

[105] لم يستخدم موحا وحمو هذه المدافع الاعند دخول المستعمر والدليل علي ذلك ان فرقه تضم بعض الجنود الفارين من المحلات الشريفةفحسب الرواية الشفوية وان عدد منهم يعرف استعمالها فعلي سبيل المثال العربي الطيبجي وسي الغالي ومريقة...

[106] ضريبة تفرض علي كل فرد بلغ سن 16 من عمره.

كرسم المرور والحقوق والمساهمات المختلفة المحصلة بواسطة أولعايدي الذي يسلمها بأمانة لعمه بعد أن يقتطع حصة إمساكه للحسابات، له أيضا مورد المائة وخمسين دكانا بالسوق الجديد اكترى كل واحد بثنين دورو (ثماني فرنكات من الفضة الرقيقة) للشهر والثلاثون دكانا بالقيسارية (السوق المغطى الذي تباع فيه الأقمشة القطنية والأغطية والمنسوجات الحريرية، المخصص لأناس فاس) ما عدا تلك التي أصبحت ملكا للأحباس لصيانة أماكن العبادة.

بعد ميزانية الإيرادات نمر لميزانية مصارف الدولة[107]، لانجد سوى ثلاثة فصول اللائحة المدنية، الجيش، والمنح والمصاريف الغير العادية، فعلى ضوء هذه المعطيات يستحيل وضع أو إعادة تشكيل مخطط مالي لاوجود له.

المال يدخل ويخرج من خزائن موحا وحمو تبعا لحاجياته واهوائه وانتصاراته وقوته اذا فكر في ادخاله باستمرار داخل القبيلة بالجبل والسهل شنكاط يتكلفون بالمهمة، يجدون فيها ايضا رواتبهم بحيث لا يهتم القائد بشئ اخر سوى تموينهم بالدخيرة ومراقبتهم بصرامة اذا راقبنا دائما يده والسيف علىعنقه، نحصل على جاب جيد لتحصيل الضرائب في المدينة يحرص على عدم انفاق ولو فلس واحد لعناية بابنائه و ضيوفه او قصباته.

سوق خنيفرة كان مزدهرا لايجبي فيه أي رسم، ولا يفرض أي رسم على

---

[107] ان اقامة حكم محلي لا يعني باي حال من الاحوال شكل من الطلبة باللاستقلال انظر
La sociologie politique coloniale au Maroc cas de Michaux Billaire P 84.

اية بضاعة، ياتون اليه من كـل حـدب وصـوب الخميـس والسـبت، والمبادلات كانت مزدهرة بين سكان الاطلس حتـى تـافيلالت وسـوس وسكان السهل حتى مكناس وفاس، لكن في تلك الايـام القـائد وعائلتـه احتفظوا بحق المشترين الاوائل، احد الدلالين يعلـن وصولـهم وبمجـرد ظهورهم تتوقف المبادلات من اسفل شارع السوق الجديـد حتـى سـاحة السوق، يقومون اذاك باختياراتهم ولما ينتهي السيد مـن مشـترياته فـان السوق سيتعيد نشاطه وحيويته المعتادة[108] نتخيل باي ثمـن سـدد القـائد وابناؤه ونساؤه مشترياتهم، نساؤه بالخصوص كان معهن في اقصى بخـل، يزن لهن الحصة اليومية من الدقيق والزيت بشح دون الاهتمـام بالبـاقي الزينة والحلي والشهوات.

قيل لموحا وحمو ثلاثون[109] ابنا يمتطون الخيل وثمانية عشر زوجة [110]في 1914، وكان عددهن قد بلغ اربعين زوجة ميالات للحب والتغيير، ندمـاؤه استغربوا منه بحيث مبعوث السلطان الشبوكي اثار يوما انتباهه نحوهـن،

---

[108] هذا الوصف لا نجد له مثيلا سوى في ألف ليلة وليلة.

[109] هذا العدد مبالغ فيه فابناء موحا وحمو 16 ابنا هم : حوسى، امهروق، حسن، الحاج علـي، البصير، لحسن او سعيد، مولى ادريس، ميعمي، بوعزة، احمد العنزول، حمـو نعقـا، بساعدي، موحا نطو علي، الحاج حدو، موسى، باسو، فان الثلاثة عشر الاوائل هم الراشدون سـنة 1914 اصغرهم هو موسى توفي في 12 يوليوز 1994.

[110] كان عدد نسائه سنة 1914 ستة عشرة زوجة هن للا السعدية الغرناطية، زينـب الفاسية، عيشة او لتمييل المكيلدية، يزة البحسوسنية ، ميمونة اخت يزة البحسوسنية، هنو او لخبـار ابنت خويا، فاطمة محمد المعروفة "بمومو" اخت هنو اولخبار، ايطو بنحمو البومزيلية، المهوشية بنت المرابط سيدي مبارك ايت احند، محجوبة السحاقية، يامنة او لتعطا ايت عطا، يامنة تسـاعرابت (العربية)، تنتونجدير المعيوية، ايطو علي ايت بليشي، عيشة اولتمعـي المعيويـة، وثاروكسـاعت المعيوية.

قال له القائد الا تعلم اننا لا نبذر نفس الحقل مرة ثانية بنفس البذور لمـــا نتضج الاولى؟ لا يستجيب لحرمه الا جنسيا ولا يشـــعر اتجاهـــهن بـــاي احساس، احب فقط امراتين احتفظ بهما حتى الموت، الفاسية التي تزوجـــها بفاس اثناء زيارته للمولى الحسن، والمهوشية بنت المرابط سيدي امبـــارك بن محمد[111] هاتان بالضبط تقطنان القصبات بخنيفرة او الخيمة لما يرحـــل نحو الجبل مع عشرين من خدمه المخلصين المكلفين بحراسته ليلا ونهارا، بالنسبة للاخريات لا يهتم بهن كثيرا وكلما زاد الســـــن اخمـــدت اشـــواقه وتركهن تقريبا بدون عيش وكليا بدون شهوات وبدان البحث في الخــــارج الواحد تل والاخرى، الابناء انفسهم واقرباء القائد نصبوا الدسائس للحريـــم اما كبار التجار يحضون برعاية احدى المكيلديات او الزيانيات من مـــنزل القائد مقابل حلي اوكيس من النقود او حـــزام او فســـتان، فوقعـــت لـــهن فضائح، الزياني لما يدخل الى خينفرة يعاملهن بحكمة وبالنســـــبة للتجـــار الذين ادوا لا يقول شيئا، اما بالنسبة لافراد عائلته هـــــذا يحرجـــه كثـــيرا ويعطي امثلة قاسية جدا تدوم احيانا[112] اذا افترضنا انهن بدون طلاق فـلن عدد نسائه تقلص بشكل سريع من اربعين الى ثمانية عشر، لكن رغم ذلـك ليس لهذا اهمية قصوى في نظره.

عفا عن فجور حريمه بكل سرور وبحكمة لاتتجاوز الاستقامة، وهو يـــردد

---

[111] هو صاحب الضريح الموجود قرب قرية الاحد يوحسوسن على بعد حوالي 60 كلو متر مـــن خينفرة

[112] ضبط موحا وحمو إحدى نسائه تدعي يامنا أو لتعطى من ايت يعطا مع عشيقها يدعي موحـــا او سعيد من ايت خويا وكانت انذاك شابة صغيرة بينما هو كان اقترب من السبعينات فقام محمـــد بولهايم بقتلها وهذه الفضيحة داع صيتها في كل الجبل، انظر المصدر السابق: les sentiers de la guerre et de l'amour p 2

الملازم الاول ابن داوود ترجمها كما يلي ماذا تريدون؟ لاتوجد اقفال لفضيلة النساء".

هكذا عاش دون ان يكلفه جنوده واقرباؤه ونساؤه شيئا، كل واحد يدبر أمره بنفسه على ما يرام، متاكدين من دعمه أو على الاقل من تسامحه شريطة ان يربحوا المال ويجنبوه إنفاقه، يقلص نفقاته الغذائية خلال اقامته في خنيفرة، فالولائم الفاخرة التي يقيمها له التجار تدفعه الى تقليص اقامته هناك، فوجبة المنزل هي الفطيرات اعدت من الدقيق الذي وزع امامه بشح في الصباح. علم ليلة كان عيد الاضحى قد اقترب ان الطلبة" ومقدمي الزوايا غادروا خنيفرة للالتحاق به في دواره بالجبل كي يطلبوا منه حسب العرف خروفا او اثنين ضروريين للاضحيات الشعائرية. في الليل امر المعسكر بالرحيل فذهب نحو وجهة يعرفها هو وحده لكي يفلت من زيارة جامعي الصدقات ويوفر بذلك خروفين، الوفد وجد المكان فارغا، أيقن انه لا فائدة من الذهاب بعيدا وعادوا الى خنيفرة خاوي الوفاض.

لبناء قصباته نعتقد ان هذا لم يكلفه شيئا كثيرا لا من حيث اليد العاملة ولا مواد البناء، ولما يحتاج الى مصاريف تجمع بواسطة ضريبة اضافية تفرض على تجار المدينة الذين لا يخشونها بتاتا حسب رواية الاهالي، فبغض النظر عن التجارة اليومية، فاسواق السبت والخميس كانت كثيرة الارتياد و الرواج والارباح فكونوا كلهم تقريبا ثروة. من بين هذه القصبات تلك لموحا وحمو وحسن على الضفة اليسرى لم تكن سوى كدسة من البنايات ملتصقة بفنادق ومخازن يبدو انها غير تامة، الوحيدتان اللتان

تبديان الرضى كانتا تلك لاولعايدي بها أقمنا مستشفى، وتلك للفاسية قطنت بها مدة ستة اشهر، بدلنا كل جهدنا لترميمها وصيانتها منذ 1914 الى اليوم، والتي اعدناها لابناء القائد المنضمين الينا. انها نوع من القصور المحصنة باسوار جد سميكة من الطين الصلصالي، لونها جميل احمر قاتم كتربة خنيفرة، يعلوها برج مربع مع فناءات داخلية احيانا مزينة برواق مغطى كما عند الفاسية، ونافورة وقاعات واسعة في الطابق الاول المرتفع جدا والمشرف على النهر والجبل بعدة نوافذ مشبكة، والسقوف الجميلة المصنوعة من الارز زخرفت بامعان بواسطة صناع مراكش، وبيوتات صغيرة (الفسيفساء ذات لون زجاجي) والكل يكون مجموعة في نفس الوقت محبوبة ومرهفة وخشنة توافق جيدا مع حياء وسيماء اولائك الذين بنوها، في الليل حيث ان دوي مدفع 75[113]، اسكت زغاريد ودربوكات" العاهرات اللواتي اكرهن على ترك كل هذا و الالتحاق بجبل الرئيس العجوز الغير المصياف فرغم هزيمته لازال يثير الرعب، ويردد باقتناع اننا الاقوياء وان ساعته قد ولت، " لما اموت ابنائي سيفعلون ما يشاؤون وحتى ذلك الحين لن ارى مسيحيا الا في متناول بندقيتي والاصبع على القرص[114]".

---

[113] هو مدفع من عيار 75، يعرف في المنطقة تحت اسم سيدي ميمون

[114] رفض موحا وحمو التعامل مع الاوروبيين رفضا باتا بحيث كان لا يطيقهم انظر M.GLAY recits Marocains p 214. وتتجلى كراهيته للاوروبيين في البيتين الزجليين التاليين

القائدالمحزوني هوكال في حلفاتو=اناحلفت بيميني اولادي حرام علينا

خنيفرة عمري مانساهاولا تنساني = حتى نتلاقى مع النصراني تخليه ولايخليني.

الـــــــجـــــــهـــــــاد

موت المحارب سرور وانتصار

إذا قاتل من أجل الرسول

لما شرعت كتائبنا سنة 1908 في تهدئة الشاوية، اعلن انذاك موحا وحمو الجهاد ضدنا، كيف استقطب جيرانه؟ الرجل الصالح علي أمهاوش الذي يحكم اعالي وسفوح الجبال، وموحا أوسعيد سيد بني ملال، وايضا منافسه اقبلي الذي له حتى الان نواحي مريرت وأولماس وأزرو بمنطقة مكناس، هكذا أسس اتحاد قويا، إنها الكتلة التي ستمنعنا من الدخول إلى الجبل ستلتف حوله مقاومات متناثرة في السهل لكي ترمينا في النهاية الى البحر.

كانت تدخلاته الاولى بإرسال تعزيزات الى الشاوية، والفرق الصغيرة شاركت في القتال، تطلق عيارات نارية ثم تعود الى الجبل، حيث ترتكب اثناء العودة عدة سرقات وكثيرا من العنف مما تسبب في كراهية سكان السهل لها. ورغم زيان، عملنا يتقدم بثبات ودقة، فبعد سطات وابن احمد وصلنا من جهة كيسر[115] الى دار ولاد زيدوح الممر على أم الربيع، ومن جهة اخرى عبر ملكو و وادي زم، ثم بعد قتال عنيف في الفقيه بن صالح استولينا على قصبة تادلة قنطرة أم الربيع، كما احتللنا أبي الجعد. من تادلة اندفعنا نحو بني ملال ومن أبي الجعد نحو الكرار وسيدي لمين، ومن مارشا[116]وصلنا الى مولى بوعزة وأكلموس، ومن مكناس الى أزرو ومريرت، في كل القمم والممرات تظهر مقدمة الطابور متجهة نحو خنيفرة، وكل هذا لقطع الاتصالات بين الجبل والسهل. في 11 يونيو 1914 وصلنا الى اعالي وادي أم الربيع، موحا وحمو لن يصمد طويلا، بحيث تراجع وترك المدينة وتجاوز النهر والتجا الى الجبل كلما كان لديه شيء

---

[115] قرية توجد وسط قبيلة ولاد سيدي ابن داوود قرب دار ولاد زيدوح.

[116] قرية قريبة من ابي الجعد وسط قبيلة ايت سيدي بوعباد.

من الوقت[117] اخذ معه بطيب خاطر او بالقوة كل ما كان حيا او محمـــولا وحطم الباقي، حدث هذا في خنيفرة، فر فرارا الولهان. تجار فاس وكلـــهم آغنياء وكل العاهرات[118]، لم يخشوا وصول فرقنا بل عكس ذلك راوا فيها مصدرا جديدا للربح، فحبذوا البقاء في المدينة، أرغموا على اتباع المسـيرة تحت تهديد أسلحة شناكط الذين استغلوا المهلة القصيرة التي منحناها لـــهم فنهبوا كل ما تركه سيؤو الحظ في دكاكينهم والواثقين من تسامح المنتصـو بدل المصير الذي ينتظرهم في الجبل،لم يكفهم الوقـــت لنـــهب القيســـارية فملؤوها بالتبن واضرموا فيها النيران، بينما في البادية عائلات تعسة مـــن زيان خائفة من القائد ورجاله تركت دشراتها ومؤنها وحصادها واراضيـها وفرت وراء رئيسها المرعب نحو الفقر والبؤس والحياة القاسية في الجبل.

موحا وحمو لم يتوقف عن القتال، استقراره بالضفة الاخرى لام الربيع هو استراتيجية واستعداد، ينتظر ساعة الهجوم المضاد[119]، والتي دقت في يـوم

---

[117] لم يترك موحا وحمو في خنيفرة للمستعمر سوى الجدران واحد المسنين معتوها امراة مســنة حمقاء، لم يعثر الفرنسيونْ على قطط ولا كلاب حتى الجثث حملت على ظـــهور البغـــال انظـــر المصدر السابق ص 159.

[118] امر موحا وحمو العاهرات بالذهاب الى القباب والتجار الى جنان الماس الصدر الســـابق ص 146

les sentiers de la guerre et de l'amour P 146.

[119] اعطى قائد حامية خنيفرة اوامره بالخروج من المدينة قاصدين الهري وذلك في سرية تامـــة مقسمين الى عدة مجموعات كالتالي

مجموعة "A" تحت قيادة الرائد كولونادي ليشا COLONNA LECCA

مجموعة "B" تحت قيادة القبطان هونيكر HONNEKER

مجموعة " C" تحت قيادة الرائد دورميلا DURMELAT

مجموعة "D" تحت قيادة الرائد فاجس VAJISSE

مجموعة "E" هي الفرقة التي بقيت بخنيفرة كانت اوامر القبطان كرول انظـــر CROLL

مشؤوم[120] من شهر نونبر حيث اخبر العقيد لفـــيردور[121] LA VERDURE وحامية خنيفرة أن معسكر الزياني ليس بعيدا، في السهل مغـــامرا، فعـــزم القبض عليه، في الحقيقة استولى على النساء والكنوز والخيام القـــائد فـــي المكان المدعو الهري، الذي يعنى المستودع أو المخزن، لكن لـــم يؤمـــن تراجعه وأضاع الوقت في نهب المعسكر، فحوصروا من طـــرف زيـــان النازلين من كل جذب وصوب، وابادوهم عن اخرهم بعد مقاومة بطوليـــة كلفت كثيرا المنتصر وكذلك نحن شخصيا. كبيبتا النجدة وصلتا في الحيـــن وتفاوضتا في شان حرية جمع ودفن موتانا مقابل نساء[122] القـــائد اللواتـــي نقلناهن الى خنيفرة مع الجرحى الاوائل، حيث وجدنا الفا وســـتين جندنـــا وستين ضابطا[123].

هذه المفاجاة المفجعة رغم انها ضخمت اضعافا مضاعفة، لم تكن ســـوى حلقة من حلقات حرب عصابة زيان، التي كشفت عن صعوبات واخطـــار

المصدر السابق ص 229-230

[120] يوم الهري كلف فرنسا 613 قتيلا من بينهم 33 ضابطا و 200 جندي فرنسي و 163 جريحا (من بينهم 6 ضابط و 32 جندي) هذا احصاء رسمي انظر كذلك LA PAIX AU MAROC P /35

[121] هو قائد حامية خنيفرة لقي مصرعه في معركة الهري سنة 1914.

[122] نساء القائد اللواتي تفاوض المستعمر في شانهن هن : يامنا او لتعطا، وفاطمـــة تـــاعرابت، وخادمة تدعى حادة نجيلالي انظر المصدر السابق ص 242.

[123] حددت الاحصائيات الرسمية الخسائر كالتالي 90 % بالنسبة للضباط 71 % بالنسبة للجنـــود الفرنسيين 54 % للجزائريين 78 %للمغاربة 56 % للسود السينغاليين المرجع السابق ص 249.

حرب الجبل[124]، واوهمت موحا وحمو انـــه يســتطيع مواجــهتنا، فقــام بمحاولتين هجوميتين ضد طوابيرنا المتجهة نحو تادلة ومكناس، لما عادت المياه الى مجاريها بخنيفرة، تكبد خسائر جسيمة دون ان يلحق بنا تقريبـــا ادى، صعد ثانية الى جبله لان المقابل كان داميا، ويوم الهري يعتبر يـــوم حداد،[125] ومنذ ذلك الحين تخلى عن العمليات الكبرى واكتفـــى بمناوشـــة طوابيرنا، وتهديد موكبنا بمهاجمة مؤخرة جنودنا، هذه حرب العصابـــات المتواصلة، سببت لنا بلا شك خسائر، واخرتنا عـــن اشــغالنا الطرقيــة والتجهيزية، هذه الحرب لم تحقق لــــه أي شـــئ، ادرك ذلــك شــخصيا، واستمراره في المقاومة كان من اجل كبرياء متوحش كنقطة شرف فظة.

خاض موحا وحمو عدة معارك ضد القوات الفرنسية اهمها معركة خنيفرة ومعركة الهري.

[125] احتفلت القبائل بانتصاراتها علي القوات الفرنسية انظر مجلة نجمة القطب المغربيـــة العـــدد 4ماي 1988 ص 6.

السياسة الفرنسية لليوطي

مجلس الشيوخ اعترافات منحه

اوسمة الشرف والانتصار ولقبه بالإفريقي"

تاريخ سيبيون

ابتدات منذئذ سياسة الحرب الطويلة ضد كتلة زيان المحصنة في الجبــال، هذا يستوجب تفكيكها وجرها تدريجيا نحونا سيتطلب ذلك سبع سنين مـــن الجهد المتواصل لانجاز المخطط الذي لن نمجده ولن نضيف اليـــه شــيئا، سنحاول عرض تصوره وانجازه ونتائجه فضلا على أن المســالة ســتبقى اخبارية ما دام خضوع الاطلس المتوسط لم يكتمل بعد[126]. تخيلوا، امــامكم سلسلة كبيرة من الجبال قممها مصطفة ومرتفعة حوالي ألفيـــن أو ثلاثـــة الاف متر سدت الافق في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي، ويجري اسـفلها نهو أم الربيع، ووراءكم تادلة والشاوية الدارالبيضاء على بعــج 200 او 250 كلم، في الجانب الاخر سلسلة واحات تافيلالت والصحراء. السلسلة نفســها يتخللها أخدود كقبعة رخوة داخلها يجري نهر ملويـــة مـــن جـــانب نحـــو الجزائر والبحر المتوسط، ومن الجانب الاخر يجري واد العبيـــد نحـــو ام الربيع والمحيط الاطلنتيكي وتنحرف سلسة منابع أم الربيع نحو الشـــمال، ويسارا في التجاه الجزائر، ثم تنحدر في اتجاه مكناس وتازة.

الجزء الذي كان محتلا من طرف زيان قبل ان نطردهم منه كـــان وقتئـــذ أعلى وادي أم الربيع وملوية العليا والسفوح الجنوبيـــة حتـــى تـــافيلالت، ولإبادتهم يجب أولا تثبيتهم في جهتهم ثم مناورتهم، نهر ام الربيع يشـــكل مركز قوتهم يجب ابعادهم عنه، ففي جهتهم اليسرى تتكتل القبائل المجاورة الحريصة علي اقتسام الغنيمة مع المنتصرين بدل الاراضي الرعوية مـــع المنهزمين، عزلنا مؤخرتهم بواسطة نظام المراكز والطرق مـــن بودنيـــب

[126] اعتقدت فرنسا ان باحتلال خنيفرة ستضع حدا للمقاومة المسلحة البربرية بمنطقة زيـــان مـــع العلم ان عدة قبائل استسلمت بدون مقاومة تذكر امام الغزو الفرنسي.

حتى ارفود، على يمنيهم يتصلون بحرية تقريبا عبر الجبال بثـــوار تـــازة والريف[127] سنعزلهم عنهم بواسطة طريق من مكنـــاس حتـــى تـــافيلالت تتخلله عدة مراكز اجتازت اعالي منابع ام الربيع نحو ملوية العليـــا، ثـــم النزول نحو مركز بودنيب[128] فطول مدة هذه الاشـــــغال سياســـتنا اتجـــاه الاهالي لا كلل فيها، يجب ان نعبث بكل المصالح والمتـــاعب والمطـــامح قصد تفكيك الوحدة المعادية من كتلة زيان واعداد مراحل الخضوع.

وإذا كان المخطط في شكله كما كان متوقعا بسيطا وواضحا، فان تطبيقـــه الميداني نفذ بشجاعة خارقة إبان فـــترة الحـــرب وبواســـائل وامكانيـــات محدودةكان يتوفر عليها المغرب. في حين ان الشئ المطلوب من فرنســـا هو توفير الرجال، فادنى فشل سيتحول الى كارثة،[129] فالطريق من مكناس الى تافيلالت كان عمل العمالقة، تتقدم اشغال الطريق كل يوم نحو الـــهدف تحت ضربات العدو كاليات الحرب عند القدماء وليس بدون خسائر. امـــا العمل السياسي لم يكن اقل صعوبة بل دراسته ستساعد في التعرف علـــى انهيار كتلة زيان ونهاية موحا وحمو. اذا كانت النقط التي سنسردها هـــي ذكريات شخصية، لن تصدق ولو كانت لاحد المشاركين في الماساةن انـــها

---

[127] يعني ثورة الريف بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي وثورة عبد المـــالك بمنطقـــة تـــازة انظر

le Maroc sans les boches voyage de guerre 1916 éditions BOSSARD Paris 1917 p /88.

[128] يطلق على الطريق الرابط بين مكناس وبودنيب بطريق السلطان.

[129] جندت فرنسا سكان مستعمراتها الافريقيـــة ودخلـــت بـــهم للمغـــامرة المغربيـــة وخاصـــة السينيغاليين والجزائريين... واثر هزيمة لهري تلقي الجينيرال ليوطي اوامر بالتخلي عن منطقـــة زيان لكنه فضل التحدي والمغامرة انظر المصادر السابقة

la paix au Maroc p 32-33. وكذلك les sentiers de laguerre ...p 153

على الاقل انطباعات احدى الوجوه الشغوفة والمنتبهة[130]

اقمنا بخنيفرة منذ 1914 وفي سنة 1917 لازال عبارة عن مركز منعزل لـــم تغامر اية طائرة بالهبوط فيه، فالاتصال الوحيد مع المؤخرة كان بواســطة ارية الاتصالات الاسلكية، ونحاول مرة او اثنين في الشهر ايصال الـــبريد اليه بواسطة الرقاص"[131] او عدائي الاهالي يختبؤون نهارا ويســـــافرون ليلا، ينطلقون احد عشر بهم ويصل منهم احيانا تسعة او سبعة اولا احد.

نقوم بتموينالمركز مرتين في السنة، واستبدال الحامية بالاضافة الى جنـــود الحامية، بالتجار واليونانيين اليهود[132] ونساء الاهالي الخاضعات لضريبـــة مهنية[133]. التموين يتطلب الفين او ثلاثة الاف جمـــل وطـــابور للحراســـة متكون من خمسة متكون من خمسة او ستة كتائب وفرقة السباهية ومدفعية الجبل والكوم[134] والمغامرين.

هذا يتطلب اربعة ايام لقطع المسافة الفاصلةبين تادلة حيث تعسكر الفرقـــة المتحركة وخنيفرة، اليومان الاولان عبر طريـــق صخـــري مـــوازي لام الربيع يقودنا الى سيدي لمين، من هناك نلوي عـــبر مرحلتيـــن جديدتيـــن

---

[130] ان الدراسات الاستعمارية لتاريخ المغرب مهما بلغت من موضوعية، فانها تحمل في طياتـــها مغالطات لواقع الاحداث انظر دراسات في تاريخ المغرب جامعة الحسن الثـــاني كليـــة الاداب عين الشق 1990 عدد خاص ص 218.

[131] الرقاص هو شخص يتوليىنقل الاخبار والرسائل الشفوية والكتابية من مكـــان لاخـــر عـــدوا ويطلق عليه بالامازيغية " بوثيراثين".

132 لا يوجد اثر لاستقرار اليهود في عهد موحا وحمو داخل مناطق نفوذه انظر تـــاريخ بلـــدة خنيفرة ص 46.

[133] يقصد بهن العاهرات اللاواتي كن يقمن في بيوت البغاء les Bordels

[134] كلمة مشتقة من " قوم " وتعني فرسان الاهالي الذين دخلوا في خدمة الجيش الفرنسي.

طولهما اربعين كلومترا بدون طريق عبر الجبال الوعرة، انتصارهم فــــي الهري سنة 1914[135] كلف غاليا زيان لكي لا يفكروا في اعادة الكـــرة، لكن لما نفكر في حجم وتقدم الطابور المكون من 2500 جمل جد محمليـــن ومتدخرجين عبر مسالك الجبل، نتوقع مناوشات علــــى اجنحـــة الجنـــود، عيارات نارية تطلق من وراء الصخور ومعارك مؤخرة الجنـــود، ففرقـــة المتطوعين المشتبكة مع العدو وتضطر للالتفات الى الوراء لمواجهة عــدو لا يمكن امساكه، يجتمعون بغثة الزرازير على الفرقة، كـــل رجـــل قتـــل يحرمكم من بندقية رفيقه الذي يحمل جثته الى الوراء، وكل جريح يحتـــاج الى اثنين لحمله، اننا لا نترك احدا في الميدان والطــــابور يتقـــدم دون ان يتوقف، لانتظاركم وبلا مبالغة رايت المتطوعين لاجـــانب كلفـــوا اربعـــة عشرة مرة وتظاهروا بالقدرة على الصمود. الجبليون بعد اكثر من الــــف سنة لم ينسوا رنسفالة[136] RONCEVAUX ندرك في هذه الظروف حامية

---

[135] حدثت معركة لهري نتيجة حسابات خاطئة لان خسائر فرنسا المادية والبشرية كانت جســيمة مع العلم ان موازين القوى كانت لصالح فرنسا و حسب عدد من شهود عيان ان الجثث غطـــت الارض بين الهري وبوزقور والابيات التالية الماخوذة من قصيدة طويلة حول معركـــة الـــهري كدليل على ذلك

ايوشن كوبيلويول والوعــرات = اخوتت ساليكان غاس امــــــــــــــــــــــلال

ثالين بوزقور ثاليدخ الهــــــري = يوث ايذيان كويوك انغا عشر سفاليون

معناهما الذهب لاتتردد التهم وكل الجث اترك السنيغاليين وكل البيــــض (الاوروبييــن) تلــك ببوزقور وهذه بالهري هما معركة واحدة كل واحد قتل عشرة جنود بخنجره.

[136] هي معركة قتل فيها رولان في الموقع المسمى رنسفالة بجبال البرانس علىحـــدود نافـــار انظر مقالة جوزيف نسيم ؛ رولان قيمتها التاريخية وما اثير من جدل ونقـــاش مجلـــة عـــالم الفكر السادس عشر العدد الاول ابريل مايو ويونيو 1988 ص ؛ 149-150،

خنيفرة تنعزل بمجرد ذهاب الطابور، ولاتجرؤ على الخروج حتى التموين المقبل لمدة ستة اشهر بحجة هلاكها او ربمـــا ابادتـــها. والســؤال الاول المطروح انذاك هو ما فائدة الحامية؟.

اولا من وجهة النظر العسكرية خنيفرة يحرسها 1200 رجل، فعليا منيعـــة وتعتبر بتموينها الهام من اغذية ودخيرة قاعدة هامة للعمليات، دائما علـــى اهبة لتلعب هذا الدور.

من وجهة النظر السياسية سمحت ان نكون هنا مستقرين بصفة نهائية فـــي عاصمة زيان للاستماع والمشاهدة والمتاجرة والمذاكرة، الحياة فيها وفاتنـــة الىحد رسمنا لها لوحة سريعة. في الصباح الباكر، بعد تحية العلم، ســـتة من السباهية ينتقلون الى الضفة الاخرى حيث الساحة الواســعة اعددناهـــا لهبوط الطائرات، وذلك من اجل احتلال تلين ضغـــيرين لمراقبـــة منـــافذ الجبل، بينما في المدينة يستانف العمل بحيوية فنسمع الاغاني والضحكـات العريضة للسنيغاليين[137] الذين تحولوا الىبنائين وردامين وصانعي الاجـور ونجارين وصباغين وبستانيين وصانعي الجير.

من الجبل تنزل أفواج طويلة من زيان للمتاجرة مع المركز، سائقة امامـــها الثيران والحمير ونساء محملات بجزمات الحطب، كانت حاجيات المركـــز كثيرة، ليس بالنسبة للحامية ولكن كذلك للمؤخرة التي نمونـــــها بدورهـــا. فالسوق اليومي كان كثير الارتياد،ينعقد خارج الاسوار بين النهر والقصبـــة

---

[137] الفرق السينيغالية المدربة والمختارة والتي ساهمت في امجاد فرنسا الافريقيـــة اختفـــت فـــي ساحة المعارك المغربية انظر المصدر السابق

M.le Glay. Les sentiers de la guerre et del'amour ...p /105.

الكبيرة لموحا وحمو، الفلاحـــون والرعـــاة والفحـــامين يقصـــدون مـــع المقتصدين، والزبناء واناس من عائلة الزيـــاني القـــادمين ايضـــا بحجـــة التفاوض.

الساحة مفتوحة للمرضى القادمين نحو المستوصف، عالجنـــاهم بطبيعـــة الحال مجانا دون ان نطالبهم باسماءهم او اصلهم او اســـباب جروحـــهم، ويعالج الجروح التي حدث لهم ابان مناوشتهم لنا، حيث الضحايا اتوا فقـــط لطلب العلاج في اليوم الموالي للعدوان[138].

غالباقبل الدخول للمستوصف ينسل الزائر بحذر ليصل الىالباب الســـري لمكتب الاستخبارات، حيث نتحدث... الغريب في الامر انـــه كلمـــا كـــان ممنوع الحضور الى السوق بالاسلحة، كل هؤلاء الاقـــوام تعـــدوا ايـــداع بنادقهم وخناجرهم بالمركز الصغير لسباهية حيث باخذونها مثلما يحـــدث في مستودع الملابس عند الذهاب.

في نفس الوقت تختص فرقتان للسينغاليين في مراقبة قطيعنـــا بـــالمراعي تحت اضواء نيران المركز، وحماية العمال الذاهبين لجلب الحجر لصنـــع الجير بعيدا عن الاسوار، هذا يتطلب ثماني مائة رجل برشاشاتهم لحمايتهم من العيارات النارية، اتذكر يوما تحدثت مع شيطان كبير يدعي انه احســـن الرماة في المنطقة، قدم ليبيع لنا الزرابي، فقد قلت له لا تصيب احســـن من كذا، لان البارحة اخطأتني اجابني ببساطة لا اعرف كيف حـــدث هذا، نراك مع ذلك جيدا بحصانك الابيض".

---

[138] كان المستوصف الذي اقيم في خنيفرة يعالج حوالي 90 مريضا وجريحا في الشـــهر وهـــذا احصاء رسمي. انظر المصدر السابق ص 218.

أحيانا يغادرون السوق مسرورين بالمال، وكانوا يهاجمون في طريق العودة، نراهم يتفرقون ويبتعدون ونسمع صدى خافتا لعيارات نارية، انذاك احدهم عاد الينا مسرعا وملوحا بسلهامه اشارة السلم فادخلناه ارجوك قائلا، اطلقوا بعض القذائف لكي نستطيع المرور، ابناء القائد قطعوا علينا الطريق لاخذ اموالنا" ويشير الى النقطة المراد قصفها، واطلقنا بعض القذائف، دخان الانفجارات غطى العرف او التل، وممونونا كانوا مسرورين مما دفعهم للمراهنة بكل سرور على احدنا في الغد اذا سنحت لهم الفرصة، انهم مع ذلك احسن الرماة، هكذا راينا بعضهم بارزين.

الاحد صباحا، ليتدرب الرجال نظمنا مباريات في رمي الاهداف والقنينات، حيث المنتصر في كل صنف ينال جائزة تسمح له بتمتيع الاصدقاء، احسن رماة الجبل يستعطفوننا لنسمح لهم بالمشاركة في هذه المباريات، نسمح لهم بذلك ونجعلهم يؤدون عشرة سنسا[139] للفئة، والرصاصة وقتئذ تساوي في الجبل اربعون سنسا، واحسن الرهان له جائزة، لاشئ يرضيهم سوى قبولهم في هذه المباريات الرياضية مع اعدائهم بالامس والغد، لكن ليس كما أحسوا به وابدوه للمستقبل هذه الايام.

هكذا كل يوم بابتسامة حسنة نمت علاقاتنا، اذا كان بائع الزرابي او الثيران من بيت موحا وحمو نصطحبه الى قصبات العائلة ليراها مصانة ونظيفة ومرتبة جيدا، في حالة لم تكن عليها من قبل، مهيأة لارجاعها الى اصحابها اذا انظموا إلينا، نفتح الخزنة حيث تتكدس اكياس الدورو

---

[139] طبق المستعمر خطة لعزل لقبائل الثائرة في الجبال ومنعها من الاتصال بالسهل وادى ذلك الى ارتفاع اثمان عدة مواد وخاصة الذخيرة الحية و ذلك قصد ارغامها على الخضوع.

"وندفع له النقود بلا مبالاة كيسا او كيسين[140]، هكذا انتشرت فـــي الجبــل تدريجيا الفكرة، ان لدينا كل ما يخصهم، كثير مـــن الرصـــاص لتنظيـم المباريات، وكثير من الدورو لشراء ما نرغب فيه، وايضا وعدا قطعنـاه لانخلفه ابدا، وخلاصة القول ان كلمتهم كانت مثالية جدا. بالنسبة لاصحابنا اعددنا لهم الكسكوس" الابيض وبالنسبة للاخرين اعدائنـــا لا يوجـــد مـــا نقدمه لهم سوى الكسكوس" الاسود هو البارود" فقد حان وقت الاختيـــار. في صيف 1917 هبطت اول طائرة بخنيفرة[141] في ارض اعدت من طرفنــا بجانب السوق الذي يجتمع فيه الجبليون، لااحد رايته جالسا علـــى امتـــداد اسوار قصبة موحا وحمو، ولا احد منهم قام بحركة اخرى، ســـوى انـــهم رفعوا رؤوسهم وهلة لرؤية الالة الطائرة التي يسمونها التـــيريغراف"[142] ازيز المحرك الذي يذكرهم باريتنا للاتصال اللاسلكي، الضجيج الميكانيكي الوحيد المعروف عندهم انذاك، ثم استانفوا لامبالاتهم كتعبير عن شئ مـــن الاحباط. في الخريف، كتيبة التموين طوت المسافة ووصلت الى خنيفـــرة، وكانت الشاحنات محملة بموستودعات بوســـنو"bessonneau "لمعســكر الطائرات، شهران فيما بعد بدا ابناءه في التفاوض معنا.

انه عمل المراكز المنعزلة والمتقدمة، هذه النتائج تحققـــت اعتمـــادا علـــى سياسة ثانوية، لان المركز المنعزل في الحقيقـــة لا يتوفـــر علـــى ايـــة

---

[140] استعملت فرنسا اسلوب الاغراء لاستقطاب افراد من عائلة موحا وحمو وذلك لتفكيـــك كتلـــة زيان.

[141] عمدت فرنسا الى استخدام الطائرات الحربية لما فشلت في حروبها البرية انظر مجلة نجمة قطب المغربية العدد 4 ماي 1988 ص:6

[142] هو اسم محرف ل " التيليغراف" TELEGRAPHE أي البرق.

امكانيات للردع او الحماية، هو جهاز للاخبار والتاثير والتغلغل، ما عـــدا هذا فهو دور مراكز المؤخرة المتواجدة بجانب الاراضي الخاضعة. هـــذه الارض الواسعة المهجورة تركها اصحابها ليلتحقوا بموحا وحمو بـــالجبل ابان انسحابه، من الوجب حماية القبائل الخاضعة من غارات زيان وجعـل الامن يعم كل الاراضيهم، وفي نفس الوقت العمل على عـــودة اصحـــاب الاراضي المهجورة من الجبل وتثبيتهم فيها، وفي كلمة واحدة تعمير هـــذا المتسع الهائل الخالي،[143] متحدين كل مراقبة، وبهذه الكثافة السكانية سنمنع كل تسلل وفي النهاية البلوغ كما قلنا الى عزل العدو في الضفة اليســـرى لأم الربيع.

هذا العمل يتطلب عددا هائلا من اليد العاملة كانت متوفرة بقصبة تادلــــة، ووجودها وحدها سيجعل كل عملية لموحا وحمو شيئا مستحيلا، بالاضافـــة الى الوحدات المتنقلة والسريعة والمنعزلة والمتحركة، القادرة على التنقـــل في أي وقت والى اية نقطة داخل حدود نفودها، انهم الكـــوم المختلطـــون المغاربة مع الخمسين من السيوف والمائة والخمسين بندقية وبرشاشـــــاتهم وضباط استخباراتهم، تنقصهم حرية المناورة والقرار وقبضة مـــن حديـــد وايمان مطلق، وايضا مصلحة للاستخبارات جد منظمة ومخبرين مجربين، اظن ان فرنسا تتوفر على كل هذا انذاك بتادلة[144]. العنصر الاساسي الـذي يجب ان يؤخذ بالاعتبار واظن بالحسبان لمـــــدة اطـــول بـــالمغرب هـــو

---

[143] كانت الاراضي الزراعية للجبليين المستقرين قليلة بسبب التقنيات العتيقة وعـــدم الاســـتقرار انظر المصدر السابق

la sociologie politique colonial au Maroc... p 103.

[144] تعتبر قصبة تادلة مركزا عسكريا هاما بالنسبة لمنطقة زيان.

الاختلاف العميق الذي ترتبت عنه الكراهية بين الحضري والقروي، ثم بين المستقر والراحل والمزارع المستقر والراعي المتنقل.

كثير من قبائل السهل اعتنقت قضية موحا وحمو بسبب الدعوة للجهاد وانتشار خبر الانتصار المزعوم، لاتنقصه سوى هزيمة او هزيمتين لعزلها عنه وجعلها تعاديه عداء شديدا، لا مفر لها سوى عندنا لحمايتها من ضرباته الانتقامية، هؤلاء الخاضعون عاشوا حولنا وخلفنا، واخرون اختاروا خظ الزياني في الجبل لمدة طويلة بعيدا عن اراضيهم الزراعية، مجردين من الاسلحة، في حالة قريبة من العبودية، ايدوه بسبب جهلهم لطرقنا وبسبب الخوف من ثاره وانتقامه اذا هم تخلوا عنه،[145] يجب التاثير عليهم اولا، نعرفهم بانفسنا وبالوسائل المماثلة لهؤلاء الذين وصفناهم في اعلاه. ثم موفرين بصفة دائمة الحماية والامن للعشائر الخاضعة، المهمة الحقيقية لبوفالوبيل buffalo bill [146] الذي لم يكن لا اقل قسوة ولا جمالا ولا صبرا من هؤلاء الذين ما رسوها بالمغرب، مطاردة اللصوص او استعادة قطعان الماشية، او القيام بالغارات لاسترداد فديات اديت لصالح اهالينا المختطفين، او لاغاثة عشيرة مضطربة تهدد بالعصيان، دائما

---

[145] كانت القبائل تخشى انتقام موحا وحمو اكثر من غضب فرنسا انظر المصدر السابق les sentiers de la guerre et de l'amour p /83.

[146] اسمه الحقيقي وليام فريديريك كودي Willam Frederic Cody (1846-1917) (IOWA) ولد في " ايو " عمل حارسا للسكة الحديدية في بوني بتكساس وعمره انذاك 14 سنة فمعرفته بالارض والهنود الحمر سمحت له ان يصبح كشافا للجيش الامريكي في 1883 جمع بيفالربيل عددا هاما من الهنود الحمر ورعاة البقر وبدا استعراضاته عن الغرب الامريكي في مختلف المدن الامريكية لمدة طويلة وكان بيفالو هو نجم هذه الاستعراضات بفضل الالعاب المذهلة بمسدساته، وقد سميت المدينة التي ولد فيها باسمه " بيفالوبيل" تكريما لانجازاته.

راكضين عبر مسالك غير محتملة بالنهار والليل... كثير منهم لقوا حتفـــهم في كمائن و معارك، رؤوس عزيزة كانت متجولة في اسواق زيـــان[147]، اصابات شجاعة وناجحة لا تصدق، اهالينا الخـــاضعون عرفـوا الامـن، الاخرون طلبوا انذاك الانضمام الى صفوفنا، بحثنا عنهم في وســط بـلاد زيان لمساعدتهم على الانعتاق، وثبتناهم في اراضيهم واعطيناهم الشـــعير والقمح والذرة والقليل من المال وبندقية لكل خيمة مع خمسين رصاصــة للدفاع عن انفسهم في انتظار وصول الكوم. لااحد مـن هـؤلاء الرجـال خاننا، وتدريجيا الارض الخالية عمرت والحاجز اغلق.

[147] ظاهرة قطع رؤوس الاعداء والتجول بها في الاسواق، كانت سائدة بين قبائل الجبل والـهدف منها هو احداث الرعب بين صفوف العدو.

نـهاية المقاومـة

يابنـات المجد ابكين أحباءكن

كم هم هؤلاء الذين ماتوا من اجلكن

بعد صفير الرصاص

ما هو الاكثر طربا من صوت حبيبتـه

اغنيـة بربريـة

قيل ان لموحا وحمو خمسون[148] ابنا والامر ليس مدهشا، عرفنا في اسـفي عيسى بن عمر العبدي[149] كان له مائة وخمسة وثلاثـون ابنـا يمتطـون الخيل... اولائك الذين عرفتهم ادوا دورهم الى اخر فصل من دراما زيـان، هم حسن بن هنو التي انجبت لموحا وحمو طفلا اخر هو الحـاج علـي، بوعزة هو ابن ميمونة[150] واخ الحاج حدو، امهروق لا اعـرف امـه[151] وميعمي ابن الفاسية المحبوبة بينهن جميعا، نضيف اليهم حفيده اولعـايدي الذي هو الخليفة الثاني للزياني والرجل الاول في العائلة، حسن عرف فـي شبابه بالعنف والقساوة، يثير الرعب بين سكان الجبل، حيث صداه وصـل إلينا، حطم بطلقة نارية جرة ماء ثقيلة لامـراة عجـوز صعـدت ثانيـة وبصعوبة من النهر، ودفن رجلا في الارض حتى العنق لاتفه الاسـباب، يسلب وينهب المسافرين او الناس العائدين من السوق، كل هذا كـان مـن

---

[148] عدد ابناء موحا وحمو 16 ولدا كما رأينا سابقا و 12 بنتا هـن : حـادة نعقـا، رابحـة تاغذجات (تزوجها مولى الحفيظ) تاغذجات، زازيا، هنو، فطيمة نعقا، مولاتـي، يامنـة حمـو، غنيمة، حبوبة، مونا امحزون، حجو، ولو جمعنا عدد الابناء والبنات لتبين لنا ان العدد المذكـور بالغ فيه صاحب الكتاب.

[149] هو قائد منطقة عبدة انظر

Freseau.L "l'unification du MAKHSEN dans les abda
Le caida si Aissa ben OMAR (1842-1924)
Document du C.H.E.M.N° 1930 Nov 1951.

وكذلك كان هذا القائد وزيرا للخارجية في عهد السلطان عبد الحفيظ انظر كبـاء العنـبر مـن عظماء زيان واطلس البربر ص 153.

[150] لحاج حدو وبوعزة ليسا اخوان شقيقان،لما توفيت ام الحاج موحـا وحمـو اختـها ميمونـة فانجبت له بوعزة.

[151] ام امهروق من قبيلة ايث بومزيل واسمها ايطو او حمو وهو شقيق لحوسى الذي عينه مولـى حفيظ باشا على فاس.

مزاحاته ومشاغله العادية.

بوعزة عكس ذلك كان محبوبا في قبيلته، وكان صيادا كبيرا دائما على صهوة جواده مصحوبا بتسعة محاربين بارعين مثله، يجوب الجبال مطاردا الخنازير البرية والنمور، وحسب الظروف الجنود حتى نيران مركزنا بالسهل،طورد يوما هو شخصيا ما بين المولى بوعزة أكلموس من طرف فرقة السباهية التي تطارده هي ايضا الخنزير، كان فارسا ممتازا، استطاع الافلات والنجاة، نعتبره دائما خصما شجاعا ووفيا ومع ذلك فهو الاول الذي انضم إلينا. بالنسبة لميعيمي ولد الفاسية ترك ذكرى حزينة، هي لاحد الخونة الذي اغتال ضيفه أثناء الاكل في شهر اكتوبر 1917، أرسل مبعوثين لمركز سيدي لمين في مؤخرة خنيفرة قصد تحديد لقاء مع القبطان تاياد TAILLADE لمعرفة شروط الانضمام إلينا هو واخوته لكنه يخشى الدخول الى المركز، اقترح موعدا في نقطة بالجبل.[152] حيث سيأتي مع ثلاثة رجال وسيقدم الاكل. رفاق من تادلة حاولوا اقناع تاياد" قائلين له : ميعمي خائن[153] عرف بهذا في كل البلد، لاتقبل مثل هذه الدعوة لكن تاياد" تلقى من جهات اخرى امرا او على الاقل تشجيعات، وانطلق ببسالة رفقة الضابط المترجم واثنان من الكوم. وصلوا الى المكان المعلوم و وجدوا ميعمي مع ثلاثة من خدمه،[154] والاكل مهيا، فجلسوا معهم لكن احد الكوم هو ايضا ابن البلد رفض الجلوس، تراجع الى الوراء

[152] المكان الذي التقيا فيه يعرف بـ " اسرقان" سيدي لمين حسب الرواية الشفوية.

فحسب الرواية المتداولة ان لميعمي علاقات سرية مع المستعمر الفرنسي فانفضح امره بين القبائل ولتبرئة نفسه قام فاغتال القبطان " تاياد"

[154] حضر ميعمي حسب الرواية الشفوية مع اربعة من رجالاته بدل ثلاثة وهم : او باجي قضى فترة طويلة في السجن افرج عليه عندما استقل المغرب وموحا ازوكاغ وهو دفين سيدي افلي

احد الكوم هو ايضا ابن البلد رفض الجلوس، تراجع الى الـــوراء عشــر خطوات وظل يراقب والبندقية فوق ركبتيه، بينما يحدث هذا، احد الخـــدم حمل الشاي للكومي فقتله بضربة خنجر وفي نفس الوقت الاخرون اطلقـوا عن كتب النار على ضيوفهم، وغادروا في الحين المكان حاملين كغنيمــة جثة الضابط المترجم والقبعة العسكرية " تاياد" من أجـــل عرضـــها فـــي اسواق الجبل، حاولنا معاقبة ميعمي بلا جدوى، منحنا ألفي دورو مقـــابل راسه، كان هذا مبلغا، فالدورو يساوي أنذاك اربعة فرنكات من الذهــــب، ثلاثة من مخبرينا ذهبوا الاثنين الاوائل لم يعودوا والثالث عــــاد قـــائلا لا يستطيع فعل أي شئ ميعمي محروس، من الصعب الاقتراب منه، الاحداث تابعت مجراها[155].

شهرين فيما بعد بوعزة توجه إلى أبي الجعد وقصبة تادلة حيـــث أصبـــح رهن اشارتنا مع الاوفياء من رجاله، في السنة الموالية حسن وامــــهروق اوقفوا نشاطهم الحربي تدريجيا، وانضموا الى قضيتنا. الوحيد الذي واصل قيادة المقاومة الى جانب القائد العجوز هو أولعايدي، واخر جهد كبير قـــام به الزياني على العموم كان ضد طابور التموين المتجه نحو خنيفـــرة فـــي اكتوبر 1919[156]. يوجد امامي تقرير هذا الطابور ومذكرة لضـــابط وقعـــها

وحدو او باجي ومحمد اولعبي المعروف ببغل القبة خال ميعمي انظر كذلك الكفـــاح المغربـــي المسلح في حلقات ص :54.

[155] بمجرد اعلان وفاة موحا وحمو فر ميعمي نحو الصحراء ثم المنطقة الاسبانية فـــي شـــمال المغرب حيث توفي بالقصر الكبير خلف ثلاثة ابناءهم العبي و عقا وحماني.

[156] كان موحا وحمو يهاجم طوابير التموين وذلك في اطار لمحاصرة خنيفرة واضعاف قواتـــها كمحاولة اخيرة لاسترجاع المدينة التي فقدها في 12 يونيو 1914.

برمز "L" فدقته وبساطته كانت أفضل مما قدمه التقرير بعد العملية،فكـــرة ممتازة عن هذه الحملات وحالة القبائل التي ذكرنا اسماءها سابقا من خلال السرد التاريخي والتي ظلت وفية لموحا وحمو.

سيدي لمين في 5 اكتوبر 1919.

الفرقة المتنقلة لتادلة تمركزت بسيدي لمين تحـــت قيـــادة العقيـــد تيفينـــي THEVENEY (واحد من الامجاد المغربية) فـــوج الرمـــاة المغاربـــة والجزائريين وفوج السينغاليين والمتطوعين الاجانب وبطاريـــات 65 و 75 والكوم والسباهية والحلفاء وصلوا صباحا وعسكروا بالمنحدرات الجنوبيـــة للمركز، أكثرمن 6000 رجل وجدوا كلهم لحماية القافلة الهامة المكونة مـــن 2000 جمل واكثر من 200 سيارة عربـــة مـــازلاس MAZELLAS [157]، بعض الطائرات حلقت فوق المنطقة قامت اولـــى الطـــائرات " فـــارمن FARMEN باستطلاعات جوية في اتجاه خنيفرة واعطت للقيادة معلومات مهمة عن الطابور، ثم في الغد طائرات البريكي BREGUET ســتذهب لقصف تجمعات ودواوير الاعداء، مصلحة الاستخبارات التي تعمل بشـــكل رائع، حذرت العقيد بان القافلة ستتعرض لهجوم من الجهة الجنوبية بيـــن الزريهنة[158] وجبل الحديد[159]. مخيم ايت عفي في 6 اكتوبر تركنا ســـيدي لمين في السادسة صباحا وقد كانت الفرقة المتحركة قلقـــة علـــى جهتـــها الجنوبية انطلاقا من ممر قمة محجيبا[160]، لان احدى الحركات المشكلة من

[157] ربما يعني نوع من السيارات.

[158] يطلق عليه ايضا جبل تزرهونت يوجد قرب كاف النسور ارتفاعه يتجاوز 1000 متر.

[159] يعتبر امتداد لجبل بوهياتي وباموسي موازاة مع مجرى ام الربيع في اتجاه الجنوب الغربـــي ارتفاعه يتجاوز 1200 متر.

انطلاقا من ممر قمة محجيبا[160]، لان احدى الحركات المشكلة مـــن 2000 رجل كانت قد جمعت من طرف اولعايدي حفيد موحا وحمـــو، الفرســان والمشاة كلهم مسلحون تقريبا وتحت قيادة ميعمي بن الحاج حـــدو (هــو ايضا حفيد موحا وحمو) هاجموا بحزم وقوة حلفاؤنا الذين برهنـــوا علـــى جراة كبيرة وصدوا العدو، هذا الاخيرفر تاركا في الميـــدان مائـــة جثـــة وستين حصانا ميتا والعديد من البنادق، المناوشات استمرت حتى الثانيـــة بعد الزوال، وفي الربعة بعد الزوال عسكرت الفرقة بايت عفـــى، حققنـــا نجاحا باهرا، العدو تكبد خسائر جسيمة خاصة بواسطة رشاشاتنا ومدفعيتنا وغارات طائراتنا، الفرمان حلقت علىعلو منخفض والقت قنابلها تقريبـــا بدقة، اما البريكي فاكتفت بقصف الدواوير، فاحرقت بعضـــها خاصـــة بضواحي جبل الحديد، خسائرنا كانت خفيفة، جرح ضابطـــان، القبطـــان بوشان[161] bouchon قائد فرقة الحلفاء والملازم الاول مراقـــب الطـــيران وجرح ثلاثون اغلبهم من الحلفاء وقتل منهم ايضا عشـــرون،قتـــل كذلـــك قبطان الخيول.

خنيفرة في 7 اكتوبر

عسكرت الفرقة المتحركة منذ الرابعة بعد الزوال بكاملها في خنيفرة خارج

---

[160] جبل يبعد عن كاف النسور بحوالي كلو متر واحد.

[161] جندت فرنسا عدة قبائل عربية في حربها ضد موحا وحمو كورديغة وبنـــي زمـــور وبنـــي خيران واسماعلة... وكان الضباط الفرنسيون يعاقبون من تخلف اوفر او تهاون فـــي المعركـــة واشهر هؤلاء الضباط قسوة وتنكيلا هو حاكم معسكر وادي زم القبطان بوشـــان BOUCHON بحيث ان الفارين او المتهاونين او المتخلفين كان يحلق لحاهم عقابا لهم. مخطوط انظر كيـــاء العلبر من عظماء زايان واطلس البربر الجزء الاول ص 83.

المركز، المرحلة رغم انها قصيرة جدا (16كلومترا)،فقد استغرقت مع ذلك تقريبا يوما كاملا بسبب الممر المشهور لحجرة مثقوبة، ممر ضيق جدا بين جبل العرعار وباموسى، تمر عبره السيارات والجمال بصعوبة جدا، العدو وخلال هذا اليوم ازعجنا في الجهة الجنوبية خاصة اتجاه جبل العرعار[162]، رشاشاتنا ومدفعيتنا اوقفت العدو عند حده، احدى قذائف عيار 75 سقطت توا وسط مجموعة من الفرسان نصفهم بقي في الميدان والاخرون تفرقوا بسرعة في شتى الاتجاهات.

بناءا على الاخبار التي توصلنا بها خسائر العدو كانت جسيمة، ايت اسحاق احصو خمسين قتيلا من بينهم ابن اولعايدي جثته ردت الى سيدي لمين، منذ امد بعيد جدا لم يتكبد العدو خسائر بهذا الحجم، الهلع ساد بينهم، كل العائلات تبكي قتيلا او قتيلين، خسائرنا اليوم 7 اكتوبر ثلاثة جرحى، في المساء بقصبة خنيفرة بوعزة (ابن موحا وحمو المستسلم) استضاف العقيد تيفيني وضباطه وحضر هذه المؤدبة حسن الاخ البكر[163] لبوعزة، فقد نزل من ماواه باقلال ليسلم على العقيد وليطمئنه ان قبائله لم تشارك في الهجوم الذي تعرضت له الفرقة المتنقلة، مع العلم ان حسن لم ينضم بعد الينا. لافائدة من الدخول في التفاصيل انها سياسة الاهالي التي من اختصاص مصلحة الاسخبارات.

تركت الفرقة المتحركة خنيفرة في الخامسة صباحا علىضوء جميل للقمر،

---

[162] جبل يوجد في طريق كاف النسور قريب من خنيفرة

[163] حسن ليس هو الابن البكر لموحا وحمو بل الابن البكر هو حوسى الذي عينه مولاي حفيظ باشا على مدينة فاس.

في الزوال عسكرت الفرقة بدشرة سيدي عمرو عند قدم جبل تبـــاينون[164]، العدو لم يزعج الكبيبة، الخسائر التي تكبدها في اليومين الاولين ارغمتـــــه لن لايفكر ثانيةفي الهجوم ماعدا بعض العيارات النارية اطلقها المنعزلـــون الجاثمون فوق هضبة زيان (يطلق عليهم البوابون) لم يحـــــدث أي شـــئ (هنا وصف منظر طبيعي وتسليم واوسمة).

سيدي لمين 12 اكتوبر

المخبرون زودونا بحقائق حول عمليات العدو ضد الطابور، الاعـــداء لـــم يعترفوا سوى بقافلة 1915 والتي كلفتهم خسائر جسيمة، كثيرا مـــن الخيـــام كانت في حداد،الجرحى يموتون كل يوم، والقبائل التي عانت كثيرا هـــــي ايت بوحدو وايت احماد اوعيسى، هاجمتنا ثمانية قبائل هي ايت بوحـــدو وايت اسحاق امزانيتن[165]، ايت يعقوب اوعيسى، ايت احماد اوعيسى، ايت هودي[166]، ايت شارد[167]، وايت بومزوغ، زعماء هذه العملية هم ميعمـــي بن اولعايدي والشريف سي الطيبي[168] اما الحركة التي نظمها اولعايدي لـــم

---

[164] جبل يمتد بشكل موازي لنهر ام الربيع ارتفاعه تجازو 1200 متر

[165] هي فرع من قبيلة ايت بوحدو.

[166] قبيلة تقطن المنطقة الواقعة بين القصيبة وزاوية الشيخ.

[167] قبيلة تقطن اروكو قرب خنيفرة.

[168] اسمه هو سي محمد بن الطيب بن عبد المالك الهواري اصله من الصحـــراء اســتقر بـــايت اسحاق له عدة مؤلفات كما له عدة فتاوي اهمها " **عبرة اولى الابصار في وجوب الـــهجرة مـــن ارض الكفار**" ومن كتبه كتاب **تقريب الفتح المطلوب بمدح حبيب** القلوب في مناجاة علام الغيوب وهو عبارة عن وثريات من البحر الطويل تتضمن مدح الرسول (ص) يقول في مطلعها
الا هي فصلي ثم سلم على النبي = صلاة كقطر الغيث اذ يتصبب
وله قصيدة في التسول باسماء الله الحسني يقول فيها : حمدا للمنعم بالفرج بعد الشدة والفـــرج =

يقدها شخصيا بل اسند قيادتها لولديه.

كل قبيلة لها مهمة ودور محدد، ايت هودي كانوا بتادرت[169] مع جزء من ايت بوحدو لمهاجمة مؤخرة جنودنا لكن مائتي فارس من السماعلة هاجموهم في اليوم نفسه على الساعة السادسة لصدهم عن الطابور. ايت بوحدو احتلوا الزريهينة والمنطقة المجاورة، ايت احمد او عيسى يتواجدون شرق هذه المنطقة، ايت يعقوب، وايت اسحاق في جنان لبتون وامزانيتن[170] في البئر البيوض[171].

في اليوم الموالي ايمجيجن وايت شارد احتلوا جبل العرعار. الشريف المشهور من الجنوب مصطفى[172] حرض في غشت وشتنبر الماضيين كل منطقة زيان قصد الاستيلاء على خنيفرة، انسحب امام عملية الفرقة المتنقلة بالضفة اليسرى لام الربيع، فقد قليلا من شعبيته خاصة بين امزانيتن الذين ايدونا حتى لان.

اولعايدي كان متأثرا جدا لوفاة ابنه محمد المدفون بسيدي لمين،لانه الابن الثاني الذي فقد. خلال سنة من البارود،لكن هذا المصاب احزنه، فكل القبائل حتى التي في عداء معه ارسلت وفدا لتعزيته[173]، لم ننتظر نتيجة هذه الهزيمة، اذ في شهر يناير 1920 اولعايدي المتاثر بوفاة ولديه فقد الثقة

وصلاة اله على من ارشد امته لسدى النهج.

[169] قرية توجد في منطقة ايت بوحدو.

[170] منطقة توجد بين سيدي عمرو وكاف النسور.

[171] توجد قرية جنان لبتوم.

[172] ربما هو احد حفدة سيدي الغازي الذي له نفوذ كبيرة في قبيلة ايت بوحدو.

[173] الموت هو مصاب جلل من واجب كل قبيلة تقديم التعازي.

في جدوى المقاومة الطويلة فاعلن خضوعه، حان الوقت للوصـــول الـــى قرار بشان هذا الكفاح الطويل، قررنا الاستيلاء على كل نقط المرور بـــام الربيع لحرمان زيان من منفذ الى السهل قصد انتفاع من مراعي وممارسة ترحالهم السنوي.

في 16 ابريل رغم المقاومة العنيفة اســتولينا فــي أعلــى خنيفــرة علــى تقايشيعان[174] وعلى معظم امرابطن[175] وابت معي، في 2 ماي استولينا فــي أسفل خنيفرة على زاوية الشيخ التي دافع عنها ايت اسحاق واشقرن، وايت يودي[176] وايت بوحدو ورجال موحاوحمو. في الثامنـــة والنصــف تقــول مذكرة L العناصر الاولى للطابور (حلفاء وفرسان) بلغوا واد صــوو (رافد ام الربيع)، نهر له حافات شـــديدة الانحــدار يجــري فــي ارض صلصالية مشكلا منخفضات كثيرة، وتتخلله كل اثنين او ثلاثة كلومـــترات معابر كثيرة الاستعمال.

نحو التاسعة مقدمة الجنود المحمية من طـــرف المدفعيـــة شــرعت فــي عبورصرو بالمعابر المساماة اصاكا انملاح واصاكا نايت اسماعيل، خـلال هذا الوقت معظم الفرسان والحلفاء غادوا على زاوية ايت اسحاق وعلـــى تل توروبلال[177] الواقع على الضفة اليمنى وعلى بعد حوالي كلو مـــترين

---

[174] في الكتاب تقانيشان لها نفس المعنى أي عويل الذئاب وهي هضبة توجد قرب مريرت.

[175] يطلق علي القبيلة التي تقطن منطقة مريرت وتعرف باصلها الشريف وتتكون مــن فــروع كايت سيدي علي وايت سيدي احمد، انظر كتاب الكفاح المغربي المسلح في حلقات ص 40.

[176] لاتوجد في كتلة زيان قبيلة بهذا الاسم ربما يعني ايت وودي احدى بطون قبيلة ايت ايحند.

[177] في الكتاب توركلال وهذا خطا وهو تل اقامت عليه القوات الفرنسية ثكنة عسكرية يفصلـــها عن مدينة ايتاسحاق واد او كور احد روافد ام الربيع.

ونصف من واد صرو، فاتحين بذلك الطريق للفرقة المتنقلة بكاملها، الجزء الهام من الطابور بلغ هذه النقطة الاخيرة حوالي الزوال.

العدو ابدى مقاومة ضعيفة خاصة من طرف العشائر المنعزلة والمنحصرة في الاودية وعلى سفوح الجبال، تطلق من حين لاخر عيارات نارية على حلفائنا وعلى مقدمة جندنا وعلى اجنحته، لكن دون ان يلحق بهم اذى، بعد الزوال عدد من زيان نزلوا من الجبال يتسابقون نحو البارود، لكن مدفعيتنا والتظاهرة الناجحة لحلفائنا ارغمتهم على التراجع بسرعة شديدة، خسائرنا كانت جد ضئيلة بعض القتلى والجرحى (خاصة بين الحلفاء)، بالمقابل خسائر العدو كانت جسيمة، أحصينا اكثر من مائة قتيل، اغلبهم بقوا في الميدان، وعدد كبير من الجرحى. في السادسة مساء ساد الهدوء كل الامكنة والفرقة المتنقلة استقرت بكاملها فوق توروبلال، ذكرت هذه النقطة المتقادمة الان برمتها لكن احتفظت بكل الوان الحياة، لانها تبرز بشكل مؤثر الاحباط عند زيان، تقلص تدريجيا عدد القبائل المشاركة في القتال، والمقاومة ضعفت، هؤلاء بعض المسنين الابطال من زيان لايتناقصون ويتسابقون نحو البارود من عمق جبالهم، وصلوا متاخرين، لكن اعطوا مع ذلك باعتزاز شحنة للموت امام المدافع وعدد لا يحصى من حلفائنا تحت قيادة احد ابناء القائد العجوز، وخاصة هذه الجملة الجافة للبلاغ والتي تنبؤ بنهاية كل الامال وكل المقاومات، حين يعلم هؤلاء المحاربون ان اغلب قتلاهم بقوا في الميدان" الكل يشير هاهنا الى نهاية الكفاح. هذا الاحباط على كل حال وجدنا له اثرا في اغاني نساء الجبل، الافيد دائما الرجوع بالذاكرة الى الوراء لمعرفة افكار هذه الشعوب التي لاتعرف الكتابة.

الاشعار التي سنقرؤها جمعت بواسطة كولياك[178] M.COLIAC الـــذي ندين له بهذا القدر من الملاحظات الهامة حول البربر والتي نشرت شـــنة 1920 في مجلة فرنسا المغرب".

الاولى تسرد انشاء طريق الاعمدة وظهور التيريغراف الذي هو الطائرة.

طـــــــــريق الاعـــمـــدة

منذ وجودي ومنذ ولادتي

لم اسمع بهذا

طريق منفصل عن الارض الزراعية

يبدو انهم بنوا طريقا بالاعمدة

بفضله يتواصلون مع مراكش

يسخرون لخدمتهم الاوراح الشريرة

احسنت، مشاتنا يقطعون السلك كل ليلة

في النهار ذلك السلك اصلح

كل ليلة، ذاك السلك قطع

مرتدوكم يتولون الحراسة

كل واحد منكم قيل يعانق عمودا

---

[178] كان يعمل مترجما بمركز ازيلال انظر كتاب
Marrakech et les seigneurs de l'Atlas 22 éditions FEROME et JEAN THARAUD librairé Plon Paris p/255.

في تلك الاثناء نساؤكم يعانقن عشاقهن.

التيريغراف"

طار اللقلاق من تانانت[179] يحمل في منقره شعلة

السماوات في خدمة الرومي[180] بدروها تقصفني

يا "التيريفراف" الى اين تحمل هذا الانقلاب؟

سرقت للطير اجنحته وللاسد ازيره

تحمل القذائف ويقولون انذاك تحمل المدافع

لما اسمع ازيزه الرعب ينتابني

عائشة التيريغراف" نكد علي عيشتي

فصفني قرب المنزل انا واغنامي وكلابي

كلما خرجت بماشيتي او مصاحبا قطعاني

يفاجئني التيريغراف" والرشاش يدوي

التيريغراف" لن اقيم اينما وجدت

ياشابات ويا رجال الخيام هل بقي شئ لم يخترعوه

صنعوه من الخشب وارسلوه في السماء

---

[179] قرية توجد قرب دمنات باقليم ازيلال بمنطقة نتيفة.

[180] الرومي" هي كلمة امازيغية كانت تطلق على العناصر الرومانية ابان توسع روما في شمال افريقيا واصبحت هذه الكلمة تشمل كل العناصر الاجنبية الغير المسلمة وبصفة خاصة الاوربيين.

في السماوات لا يصيبه الرصاص

لامسك به يفلت منيسيدي موحا[181] ادع الله ان يلعنه

ويسقط عندنا و امسك به

لكي اشفى غليلي

هنا المنشقون يشتمون الخاضعين ويبكون الانقسام الذي حل بين صفوفهم.

لعنة ايت اوكوديد[182]

يا يطو" لك الشقاء ابوك كان مرتدا

انكم مرتدون ما دمتم تتحملون المسيحيين

نحن سنبقى اوفياء لطريق الرسول

تتمسكون بالحاكم، لم نعد واحدا

يازينب الم تنجبي بعد مع الفارس الجزائري

الانسب لك في الواقع هو الحاكم.

مقاومة ايت عتاب [183]

ياايت بوزيد[184] سيسلبون لكم شعيركم

---

[181] يقصد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

[182] قبيلة تقطن قرب ازيلال انظر كتاب عيسى العرب مقاومة سكان قبيلة ايت عتاب ضد الاختلال الفرنسي 1908-1956 مطبعة العاصمة 1995.

[183] انظر المصدر السابق وكذلك ص 9-13.كتاب قبيلة ايت عتاب السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ عيسى العربي مطبوعات الافق 1992.

في الخامس عشر من مارس سيظهرون عندكم

سترى يا الاخ ميمون ما سيحدثه انفجار القذيفة

المنزل امامها ليس مخبا

لما تخبئ في واد عميق

تاتي القديفة وتسقط عليك كما لو اقتيدت باليد

ايت عتاب ليس في مقدورهم سوى الخضوع

ماذا يستطيع فعله ايت بوزيد؟

لايجب اعتبار هذا الخضوع احساسا قبليا واغنية تحية الحاكم نمودج في هذا الصدد

وصول الجبنيرال او التظاهرة العفوية.

نعم هذه الاوقات عصبية ونذا الزمان صعب

قليل من الحبوب في الحقول والبرد سقط

الرومي سكن في ذيل ملابسنا

الرقاص وصل قائلا الحاكم سياتي

انهضوا وارتدوا ملابسكم النظيفة بسيف"[185]

استعدوا يا خيالة سنذهب لنحضر العروس.

---

[184] قبيلة تقع في جماعة بين الويدان باقليم ازيلال.

[185] يعني بحد السيف أي ان يقوم بعمل معين وهو مكره على فعله.

قضيتم يومكم ياكبار تحت الشمس، ولا احد كان مسرورا

اخيرا سمعنا ازيز السيارة

لنصطف ونشكل حاجزا حتى يدخل

يمكنكم الانصراف ياخيالة العروس وصلت.

نامل فيكم يارجال البلاد الصالحين

كل شئ هين عليكم ان تحيوا الثورة

ان الشريف اخيرا قد وصل فجاة، سيطردكم

سيعيد لنا الطمانينة، اننا يارب تحت رحمتك.

سنذكر اخريات ايضا ميزها شعور الملل والضغينة امام عدم جدوى الاستمرار في الكفاح، لكن يجب ايضا التوقف عند اثنين غير ان مقامهما انجيليين الى هذا الحد، والفكرة فخورة جدا بحزنهافمن الواجب ايضا ذكرهما.

<u>اغنية ايت اوكوديد</u>

انا سجين، رجل الخيام هزمني

لا احرث، لااحصد، انا مغرور

مساكن حقيرة ليست سوى خراب

ياقذائف حطمت اصاكا وتعلديت

لاابالي بالامر سواء اغرم نفري حرق او هدم

لاابالي بالامر سواء بزو اوتاكووت احترقت

لاابالي بالامر لاابالي لاابالي...

من اجلك نبيي ومرشدي يحدث لي هذا

من يحب الجهاد عليه تحمل عواقبه

لهذا تركت المساكن وهاجرت المخازن

شاهدت القصر ثانية يثير البكاء

لو كان مخزننا جميعا

لاختلست اسواره جبوبنا امام طمع اعدائنا

نرى بعض اسواره من الطين الصلصالي محطمة على الارض

والبعض الاخر اخترقته قذائف المسيحيين الملعونين

انا مع ايت اوزود[186] الذين لهم قدرة على القتال

ساذهب عندكم، هناك في اعلا سارعى ماعزي

حتى لو جاء الطابور لن يفكر في الصعود الى هناك

زابور ايت لخليفت[187]

تادلة انك السبب استسلمت لهم

العرب استسلموا، واحتل السهل بكامله

---

[186] قبيلة باقليم ازيلال تقطن الجبال الوعرة قرب شلالات اوزود

[187] قبيلة تقطن بجوار مدينة ازيلال.

الروميون يطوقوننا هاهم قد وصلوا

يحاربوننا ويستقرون

ماذا استطيع فعله؟ ضدهم؟ يحكمونني

بنوا مراكز وابراجا

هو ذا الاسد بدون راس ياعائشة

استسلمي للوحش قبل ان يتجه نحوك

استسلموا له، انا قدمت له هديتي

لكن اذا فرض على ان اكون روميا ما حاجتي للاغنام؟

ماذا اصنع بركاب السرج الذي اضع فيه رجلي؟

ماذا أفعل بالسرج الذي اجلس عليه؟

حطمواطبولنا وليسعملها اولائك الذين يحلوا لهم الضحك.

بينما هذه الاغاني الحزينة تجوب الجبال، بنينا أبراجا على كل ممـــرات أم الربيع بين ثقايشيعان وزاوية ايت اسحاق لمنع كل اتصال لزيانِ بالســـهل، سقوط زاوية ايت اسحاق كان في 2 ماي 1920، وفي الثـــاني مـــن يونيـــو امهروق وثمانية من اخوانه، بعداستعراض محاربيهم وخدمهم، اجتمعوا مع جماعات القبائل في وادي ام الربيع وقصدوا خنيفرة لاعلان خضوعـــــهم، مصحوبين بحوالي ثلاثة الاف خيمة، واحضروا كعربـــون عـــن ولائـــهم

المدافع والرشاشات التي غنموها في نونبر 1914 [188]"باسم الجينيرال ليوطي"، الجينيرال بوانمرو"[189] والعقيد تيفيني محاطان باركانهما، استقبلاهم رسميا وعبرا لهم عن عطف الحكومة الفرنسية التي ستقدر موقفهم، رؤساء زيان ووفودهم وفرسانهم تم استعراضهم أمام فرقنا، والاحتفال اختتم بتحية العلم التي انضم اليها خاضعون جدد".

نعلم انه منذئذ لاحد اخل بوعده، وبلاغاتنا لم تتوقف عن الاشادة بتفاني وشجاعة زيان و رؤسائهم وابناء موحا وحمو، تفاني اثنين منهم بوعزة واظن امهروق قدما حياتهما في المعركة الى جانبنا[190].

سؤال تطرح نفسه طيلة تاريخ الانهيار، هل امر موحا وحمو ابناءه بالانضمام الينا؟ او ابناءه تخلوا عن القائد العجوز لما ساءت احواله؟

اظن ان الجينيرال بوانميرو" يميل نحو الافتراض الاول دون ان يرجع الى المعلومات التي في حوزته، يمكن ايجاد عدة حجج لدعم هذه الاطروحة، احداها تاريخي واثني ETHNIQUE ، السابقة كانت حول الكاهنة ملكة حرب الاستقلال البربرضد الغازي العربي واليها سنعود في اسفل.

---

[188] غنمت زيان ابان معركة الهري 4 مدافع من عيار75 مم و 4 مدافع من عيار 65 مم بالاضافة الى 10 رشاشات وعدة بنادق.

[189] هو القائد الحامية العسكرية بمكناس.

[190] بوعزة قتل في احدى المعارك ضد ايت سخمان وذلك في 27 مارس 1923 سنتين بالضبط بعد وفاة ابيه موحا وحمو وكان ذلك قرب المسيد بالمكان المسمى " اخليجن" انظر ذلك الكفاح المغربي السملح في حلقات ص 47، اما امهروق فان وفاته كانت طبيعية وذلك سنة 1936 بخنيفرة.

الاخرى حول النظام الذي خضع له هؤلاء القوم، اولهم بوعـــزة الـــهاوي، كان جد محترم عندنا، استسلم شهرا بعد اغتيال "تاياد" من طرف ميعمـــي لمحو الاثر العميق الذي خلفته هذه الجريمة، ثم فيما بعد اولعايدي الحفيـــد والوصي نوعا ما علىهؤلاء الشباب ابناء عمومته، ورجل اعمال العائلـــة، اثناء استسلامه تفاوض في شان الابناء الاخرين، في النهايـــة كـل شـــئ سوى، لان الهزيمة الاخيرة دفعت اغلب القبائل الـــى الاستســلام، حيــث نعرف الاستقبال الذي سيخصص لهم من طرفنا، قدم الابن البكر حسن مــع تسعة من اخوانه ليستسلم لمشيئتنا، لكن حدثين صغيرين ســيوضحان لـــي بقوة المسالة وربما حلها. احدهما روى لي من طرف احد المخبرين كنا قد ارسلناه لتعقب اثار ميعمي للانتقام من مقتل "تاياد"، حــــدث شـــهرا قبــل انضمام بوعزة،بينما الخائن جد فخور بانجازه، جاء الى ابيه موحا وحمـــو ليتباهى، فثارت ثائرة ابيه، قــــائلا لــه بانـــه كـــان دائمـــا شـــهما فـــي المعركةويهاجم اعداءه من الامام ولم يغتل ابدا ضيوفه ولا يريد خائنا فـــي بيته، فطرده بعد ذلك بلا رجعة، هكذا بلا شك الحدث سوي وزين وضخــم ويوجد فيه على الاقل عمق للحقيقة.

بينما راينا موحا وحمو في منتهى الرقة، فربما الحكمةوالفروســـية اثارتـــا وحدهما هذه الموجه من الغضب ضد ابنه، الشئ الوحيـــد المحتفــظ بـــه كحقيقة وكيف ما كانت العبارات المستعملة فـــي تقريــر المخـــبر، مـــن المفترض جدا ان جريمة ميعمي ضيقت مخططات الزياني الذي منذ تلـــك الفترة فكر في ادخال ابنائه في خدمتنا ليحتفظ لهم بالسلطة بعد رحيله، بـــلا شك تحققت الصورة التي تخيلها سنة بعد وفاته لابنه البكر، سيســـلم علــــى المولى يوسف في ابي الجعد نفسها، حيث خمسة واربعون سنة مـــن قبـــل

كان فقيرا منهكا وبدون فرق عسكرية ودون موارد فسلم علـــى الســلطان المولى الحسن الاب، وعائدا مثله خول له السلطان المولى يوسف[191] لقــب قائد زيان وبدلا من ان يكون له ثلاث مائة عسكري غير مجهزين، ابنـــه حسن سيكون له الالاف من الجنود لفرض سلطته، وامـــا هــو العجــوز يستطيع ان موت وهو مرتاح البال.

الحدث الاخر الذي ساحكيه ربما جد مقنع، رواه لي صديقي بول اودينو[192] PAUL ODINOT في فترة وفاة موحاوحمو، كان تحت امراتـــي احــد الكوم كان ينتمي منذ امد بعيد الى بيت القائد الذي تركـــه فـــي 1914 بعــد احتلال مدينة خنيفرة ليدخل في خدمتنا، ساله عن العائلة وحيـــاة الزيـــاني وانتهى قائلا له

– لكن في النهاية انت ايضا تركت القائد.

اه ليس تماما، بوم خنيفـــرة لمـــا باموســـى تـــوج بدخـــان المدافـــع الفرنسية،القائد قال لي جميع خدمي يفرون، كل الاجـــانب[193] هـــاجروني ونهبوا ماشيتي، انت ايضا ستخونني يومـــا، قضيتـــي خاســـرة، اذهــب رفضت لكن قال لي اذا بقيت هنا بعد الان الى الغد ساقتلك".

الا نرى في هذا فقدان العودة الى خنيفرة والوطن، وميلاد يأس مظلم لحكم

---

[191] زار السلطان مولى يوسف مدينة ابي الجعد سنة 1922.

[192] كتاب القبطان اودينو من كبار رجالات فرنسا واقدمهم كان يشغل منصب مدير الاســتخبارات بمدينة فاس انظر : كتاب الحركة الوطنية الظهير البربري لون اخر من نشاط الحركة الوطنيـــة بالخارج لجامعة ومؤلفه الحاج بوعياد دار الطباعة الحديثة الدار البيضاء 1979 ص 113.

[193] يقصد هنا بالاجانب العناصر التي استقرت بخنيفرة منذ امد ولا تنتمي الي قبائل زيان والـــى منطقة خنيفرة بالذات.

محطم امتزج كما عند الرجال العظام الذين قادوا شعوبهم بارادة قوية نحـو انقاذ مستقبل اسرهم الحاكمة واصدقائهم. هذا المشهد حـدث بيـن موحـا وحمو المسكين في ضفة ام الربيع في فناء القصبة من الطين الصلصـالي الاحمر التي اودت محبوبته، امام دوي بطاريات العدو التي لم تتوقف عـن القصف اثناء اشاعة الهزيمة، والدهس الخافت للجمال المحملـة بنسـائه وكنوزه والمزدحمة حول المدخل الضيق للقنطرة، بـهذا المشـهد احـس الرئيس انه خسر كل شئ، فقال فروا انا ساضحي بنفسي و اسـتضاء بانعكاس ساحة فانتين بل FONTAINE BLEAU الاخر[194] استسلم مـن اجل انقاذ ابنه ورفاقه، هذا ارسل رفاقه ثم ابناءه للاعداء قبل ان يتاكد مـن المصير المخصص لهم، عليه ان يقاتل ويثير الرعب باستمرار.

فخلال ست سنوات، كان كاسد عجوز يحمي عرينه، انتصـب علىجبهـة الاطلس مزمجرا، ضاربا دائما على اليمين وعلى الشمال بكفة المرعـب، فبفضل مقاومته الشرسة سيحث العدو على التحالف مـع ابنـاءه وقبائلـه ليضن انها الوسيلة الوحيدة للقضاء عليه، بينما سيستمر القائد فـي القتـال كي يضمن لابنائه افضل الاحوال.

قبائله تركته الواحدة بعد الاخرى، ابنه انضم الينا واستقبل جيدا بلا شـك، لكن هذا ايضا ليس كافيا يجب القيام بعملية، كانت ضد طـابور 1919 لـم يشارك فيها أي واحد من ابنائه، فالمشاركون هم حفدته الصغار، أولعـليدي الوفي الثاني وامين سره انضم الينا بدوره وتفاوض معنا في شان الابنـاء

---

[194] يقصد به نابليون بونابرت الذي اعاد جمع جنوده واسترجع سلطته وواجه المحـافظين فـي معركة واترلو WATERLO 1815ادى انهزامه ثانية الى عزله ونفيه الى جزيرة سان هالين.

الاخرين. موحا وحمو سيضرب مرة اخرى ليضـــاعف بالاضافــة الـــى حظوظ ابنائه في المفاوضات رغبتنا في السلم. سنحارب فـــي ثقايشـــيعان وايت اسحاق وهناك لن يشارك أي واحد من عائلته والان الشروط عرفـــها وقبلها من تلقاء نفسه، البكر حسن سيصبح قائدا لزيان، ارسله لينضم الينـــا مصحوبا بإخوانه[195]

---

[195] ان ماجاء به صاحب الكتاب هو عبارة عن تخمينات لا ترتكز على دلائل مادية وذلك لتحقيق أطماع استعمارية محضة لكن الرواية الشفوية تعاكس هذا المنضور اذ تؤكد علـــى ان انضمـــام ابناء موحا وحمو للمعسكر الاستعماري كان بمحض ارادتهم وكما جاء في كتاب الكفاح المغربـــي المسلح ص 52-53 ان الانضمام كان نتيجة خلاف بين القائد وموحا وحمو وابنه حسن وحفيـده اولعايدي. الا ان الراي القريب من الصواب هو الرواية الشفوية بحيث هناك مـــا يبررهـــا اولا الاشعار التي قيلت في هذا الشان منها هذه الابيات

ايبدر علا ابدا اذور دار انسى الخوف =ا د خد اورشوميزن غران اراونش

شناسن اعدلان شنلسن اســـيـــــــــــــراس = لا تغن ام اظان تون وناتشافعــن

ومعنى هذه الابيات ما يلي ايها النسر طر الى اعلى ولا تنزل في المكان الغير الامن ما دام لـم يقبضوا علي فانهم اغروا بابنائك اعطوهم اموالا، انهم ينجون كالكلاب فنسوا شافعهم.

كما جاء في قصيدة سيدي محمد بن الطيب بن عبد المالك الهواري عبرة اولى الابصـــار فـــي وجوب الهجرة من ارض الكفاح ما يلي

فانهم في الحرب للاســـلام قد صاروا مرتدين في الاحكام

وحكمهم كاحكام الكفار = وهم كلاب من كلاب النـــــــــار

انظر المصدر السابق الكفاح المغربي المسلح " ص 198.

الــــــــــوفـــــــاة

الكاهنة تتقدم نحو المعركة صارخة اهتموا بالاحداث، أريد أن أقول أني ميتة

في عمق الجبل بقي العجوز وحيدا في خيمته الكبيرة مع خدمه، لقد انتهت مهمته وحياته، جلس ينصبت لعله يسمع مرة اخرى البـــارود فـــي عمـــق بعض الاودية، حان الوقت.

في يوم جميل، يوم عيد الفصح 1921 [196] ترك العجـــوز خيمتـــه وجبلـــه وامتطى صهوة جواده مع بعض اتباعه، اخذ يركض خببا عـــبر المســـالك والمراعي والجداول والغابات والشعاب، عبر كل هذا الذي يشكل ثروتـــــه وحياته، تقدم نحو البارود الذي سمعه يصدح، هناك بين رجالــــه وحلفائنـــا يقودهم ابناؤه. تقدم كعادته للمعركة[197] واقفا على ركبته، عاضا على زمـلم فرسه، ويحشو بندقيته، موحا وحمو اصابته رصاصة فـــي عنقـــه فوقـــع ارضا، القتال توقف، هرعوا نحوه من كل جذب وصـــوب، القـــائد مـــات،

[196] استشهد موحا وحمو الزياني يومه الاحد 17 رجب 1339 الموافق 27 مارس 1921 بهضبة " امزكوشن" بالمكان المسمى "تاوجيالت" على نحو 25 كلومتر من خنيفرة انظر كباء العنبر من عظماء زيان واطلس البربر ص: 117.وقد انشد في حقه سيدي لكبير بـــن سيدي محمد بن الطيب الهواري الابيات التالية:

الاهي لهذا الفرد فرد مماث = الاهي لهذا القرم قرم منـــــازل

لا لا فرد يدنو منه فقط بمثله = وليس يجاري بل هو للفضل شامل

اقام منارا للجهاد نفسه = في اودية بها الهوى متكامـــــل

اتمم الاهي نوره و جزاءه = وابلغه ما انتهت اليه الافاضل

انظـــر كذلـــك: La France au Maroc LEON BARETY l'éditeur FELIX: CARBONNEL Paris p 54.

[197] جاء في كتاب كباء العنبر ما يلي اذا ببكبكة من الخيل تهاجمه في حرمه واولاده فـارتمى على صهوه جواده، وتسابق لرد غارات العدو المنازل الذي كاد ان يصل الى الخيـــام والمنـــازل ودروع النساء العوازل، وخب فيها شيخ التسعين ووضع صوبها طلقات وهو يقول وانـــا ايـــن الاكوع واليوم يوم الرضع" لكنها كانت بدفاعه المطلب وفي ذلك المصـــــاب ليحصـــل لـــه احـــد الشهادات فهو شهيد دون اهله، شهيد دون ماله".

هرعوا نحوه من كل جذب وصوب، القائد مات، فحمـــل الـــى المعســـكر لتابينه، في المداشر النساء يندبن ويخدشـــــن وجوهـــهن، وينحـــن نواحـــا جنائزيا، على قمم الجبال اشعلت النـــيران التـــي حملـــت الـــى واحـــات الصحراء[198] نعي موحا وحمو،دخانها القليل اختفى في الســـماء الشـــاحبة فوق الاطلس العجيب ومعه الحلم الكبير للبربر وحرية زيان.

---

[198] يحكى ان لموحا وحمو علاقات متميزة مع سكان الصحراء وخاصة ان عـــددا مـــن زيـــان استشهدوا الى جانب اخوانهم في الصحراء لما توغلت القوات الفرنسية في بدايـــة هـــذا القـــرن بمنطقة توات،انظر التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910 ص 45 حادثـــة البيضـــاء واحتلال الشاوية علال الحذيمي، ويحكي ايضا انه كانت له عدة مراسلات واتصالات مع احمـــد الهيبة بن الشيخ ماء العينين.

موحا وحمو وتاريخ البربر

" في توارخينا الوطنية الاوروبية الفكرة الوسطى دائما لاتتغير عبر ايـــة مراحل متتالية تاسست الدولة والوطن، فـــي المغـــرب العكـــس، الفكـــرة الوسطى هي كالتالي عبر اية سلسلة من الهزائم الخاصة تاكدت الهزيمـــة العامـــة والمشـــكل الاساســـي للســـيد الحـــالي هـــو الفرنســـي "كوتيـــي E.F.GAUTHIER.

موحا وحمو البربري

ان تاريخ موحا وحمو مهم من وجهات نظر عديدة، اولا لانه مغامرة بربرية في العمق والاصل، والدليل على ذلك اننا راايناه، فالاساطير القديمة لابطال استقلال البربر ضد العرب في القرن السابق هما الملك كسيلة المسيحي والملكة الكاهنة اليهودية. موحا وحمو كان مسلما يقاتل المسيحيين الان مثل العرب في اوائل القرن الهجري، الذين هم في نظره غزاة مهددين لحرية البربر، هؤلاء البربر لا يطيقون شيئين مبغوضين وتقريبا غير محتملين هما النظام والسلم[199].

بالاضافة الى ذلك اليس من الافيد اعادة رسم الخطوط العريضة لتاريخ الكاهنة قصد توضيح استمرارية الطابع البربري الذي يحيرنا حتى الان؟ اخدت من الكتاب الرائع القرون المظلمة للمغرب" للسيد كوتيي E.F.GAUTHIER الاستاذ بكلية الجزائر السمات الرئيسة لمغامرة البطلة العظيمة لاستقلال البربر في القرن السابع كما يلي بعد الهزيمة ووفاة الملك كسيلة، العرض عاد لامراة كانت معروفة في التاريخ باسم الكاهنة.

امراة في المجتمع البربري تقود الرجال لها حتا طابع مقدس كالشريف،

---

[199] كانت القبائل تعيش في معزل عن السلطة المركزية دون ان تدفع الضرائب او ان تخضع للمراقبة ويكفي المخزن حتى ابان قوته بالولاء والتبعية الاسمية ولما يضعف الخزن تقوم هذه القبائل بغارات على المناطق الخصبة انظر المصدر السابق العصبية والدولة امحمد عابد الجابري ص 28.

وكلمة الكاهنة تعنى الساحرة لكن ليس بالعربية التي لها نفس المعنى بل بالعبرية، ربما ايضا بالبونيقية. نعتقد ان علم اللغة البونيقية هو الافضل، بين البربر اليهود قال ابت خلدون نميز جراوة القبيلة التي تقطن الاوراس وتنتمي اليها الكاهنة".

" في سنة 69 ه (689و 688) قاد حسان[200] هجوما جديدا ضد الكاهنة واستول علىموقع بضفة نهو مسكيانا في شمال الاوراس، الكاهنة قادت فرقها وهاجمت المسلمين بحماس كبير، وارغمتهم على الفرار، وقتلت منهم خلقا كبيرا لم يوقف حسان المطاردة والهزيمة الا بطرابلس عند الخطوط المحصنة المسماة اليوم بقصور حسان، استمرت الكاهنة لمدة خمس سنوات تحكم افريقيا وتسوس البربر، لكن بالنسبة للسكان المستقرين حكم الكاهنة كان كارثة عليهم.

اصبحت الكاهنة سيدة كل افريقيا، وارتكبت فيها افعالا كالفساد الاداري والطغيان والظلم. المبعوث راسل حسان البربر منقسمون، اقدم بجيش قوي، لما اقترب حسان نحو عدد من الروم اسرعوا نحوه وطلبوا مساعدته ضد الكاهنة واشتكوا من تصرفاتها، واستبشر خيرا لهذه المساعي، استغل حدثا سارا جدا ليبذر التفرقة بين اتباع الكانهة، تقدم نحو البربر الذين يساندون حتى الان هذه المراة... في 74 ه (693م) انهزم البربر وقتلت الكاهنة في المكان المسمى حتى الان ببئر الكاهنة،[201] وثار سكان البلاد

---

[200] هو حسان بن النعمان كان عاملا علىمصر في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان انظر الاستقصا لاحمد الناصري ج1ص 92.

[201] يسمى هذا الاسم لان راس الكاهنة القي في بئر بالمكان الذي انهزمت فيه امام الجيش الاسلامي.

المنبسطة ضد ادارة الكاهنة القاسية".

قال ابن خلدون ان البربر رأوا بحصرة شديدة ممتلكاتهم تتحطم، والسيد" كوتيي يضيف، يجب الاستماع بطبيعة الحال للمزارعين والحضريين والمستقرين، هؤلاء الاقوام يرون انفسهم مهددين في كل هذا الذي في نظرهم يستحق ثمن الحياة، بضع سنوات من حكم هذه الحكومة مكنت أسيادهم الجدد من معرفة ان التفاهم العام واحقية مصالحهم منعدمين. انه نزاع ابدي بين الرحل والمستقرين في كل مكان وقاعدة خالدة وثابتة الروح الثنائية بالمغرب".

الا نرى تشابك الخيوط عبر قرون من الكاهنة الى موحا وحمو، ومن البتر[202] الى زيان، والتي وحدت الطابع البربري، لكن المقارنة ذهبت بعيدا جدا حتى الان.

الليلة الماساوية قبل اخر معركة التي فقدت فيها العرش والحياة، استدعت خالد (الولد الذي تبنته) ويائسة من النصر، امرته بالانضمام الى العدو رفقة اخيه.

مباشرة بعد الهزيمة ووفاة الكاهنة، الكل سوى في احسن حال بين المنتصرين والمنهزمين حين تعهد بمنح فيلقا من اثني عشر الف من اتباعه، ماعليهم سوى الجهاد الىجانب العرب، هؤلاء البربر دخلوا في الاسلام،منحهم الخيول المطلوبة وقسمهم الى جزئين متساويين كل واحد تحت قيادة احد ابني الكاهنة، وجعلهما يجوبان مع العرب المغرب ليقاتلا

[202] انظر كتاب الاستقصا ج 1 ص 64-65.

الروم والبربر الخائنين[203].

الشبه واضح بين البطلين البربريين على مدى اثنى عشر مائة سنة،ولم يفت السيد كوتيي من الاشارة اليه والتعليق عليه باسلوب عظيم، الحق يقال هذه السابقة الفريدة البربرية في الاساس نجد لها قرين بالمغرب وفي القرن 20م امام الغازي الفرنسي، بضع سنوات فيما بعد ادرك ان القضية خاسرة والمقاومة مستحيلة ماذا سيفعل؟.

بادرة فريدة جدا تماما كبادرة الكاهنة التي حيرتنا كما حيرت العرب الفا وخمسمائة سنة من قبل. اسيتخلى موحا وحمو عن المقاومة شخصيا؟ لا، كالكاهنة سيظن ان العار سيطاله، لكن امر ابناءه بالاستسلام للمنتصر، فاطاعوه دون خلفيات وحضروا الى جانب الفرنسيين المعركة النهائية التي قتل فيها ابوهم، يعني انهم ساهموا في موته، بعد ذلك ظلوا المساعدين الاوفياء للجنيرال بوانميرو الخلف البعيد لحسان".

هذا التوضيح حول الغزو الفرنسي المعاصر للمغرب يسلط الضوء على نهاية الكاهنة كما رواها لنا المؤرخون العرب،من حقنا ان نهتم بها، وعلى كل حال هذا ما فعلناه دائما، هذه السابقة الخيالية الغريبة تفوح منها لاول وهلة الف ليلة وليلة، من المستحيل التشكيك في خطوطها العريضة حين نجد في التاريخ المعاصر نفس هذه الخطوط وتفسير غير قابل للشك، في الواقع لا توجد علىكل حال الغرابة الا عندنا نحن الغربيين، المنساقين منذ 3000سنة ومنذ عهد المدينة القديمة وراء فكرة الوطن[204]. فبادرة الكاهنة

---

[203] يعني بهم البربر الذين لم يدخلوا بعد في الاسلام.

[204] ان الشعور الوطني كقوة سياسية لم يظهر الا في القرن الماضي (19م) باوربا كقاعدة لدولة

وموحا وحمو انها بوضوح رد فعل عادي لعقل سياسي، لم ينجاوز عصر العصبية، والمغرب في جميع اوقاته الى ايامنا هاته لازال في مستوى القبيلة"[205]

من الصعب استخلاص بوضوح تام تقاربا او تشابها او خلاصات مؤثرة، لكن يجب مع ذلك الاشارة الى انجاز اخر من حكم موحا وحمو هو تاسيس مدينة خنيفرة.

كما راينا رجعت بعد تفكير عميق الى تاثير السيد كوتيي وراينا الى أي حد الزياني يجسد الطابع والمزاج القديمين للبربري، وراينا هذا الرجل البدوي الغير المستقر، رئيس الخيمة الكبيرة الذي في نظره السهل والمستقرين فيه ليسوا سوى طريدة، رايناه يؤسس مدينة، منحها ادارة غريبة وقاسية ومهينة لكن مع ذلك ادارة، لقد وضحنا بدون مبالغة ان المدينة لم تؤسس له او لذويه، أليس هذا حدثا جديدا وربما مصيريا في تاريخ البربر، وكعلامة تطور نحو الاستقرار؟ وهذا في نظرنا هو الحضارة،[206] يجب بادئ ذي بدء استغلال هذا الوريد والاستفادة من التيار الذي سوف يقدم خدمات هامة للمغرب.

السيد كوتيي كتب انه مع الكاهنة البربر خسروا معركتهم بتوبيياك[207]

ما، مع صعود البورجوازية وازدهار الاقتصاد الراسمالي انظر دراسات في تاريخ المغرب جرمان عياش ص (165-188).

[205] انظر المصدر السابق " العصبية والدولة" ص 250.

[206] انظر المصدر السابق ص (367-369).

[207] هي البلاد القديمة للغوليين (الفرنسيين) قرب كولونيا بالمانيا تسمى حاليا زوليبس ZULPICHحقق فيها الافرنج انتصارا على الالمان ALAMAN في نهاية القرن الخامس 5م

ويمكن القول انه مع موحا وحمو خسروا معركتهم ببواتيـــي TOBILIAC
POITIER[208] وربما مع مدينة خنيفرة خسروا معركة البداوة [209] التـــــي
هي حدث تاريخي ذو اهمية قصوى.

هذه الرواية في النهاية بينت كم هـــي فعالـــة السياســـة الفرنســية التــي استخلصت من التاريخ دروسا، اخذت من الرومان سياسة الطرقات ومـــن العرب سياسة ابناء الملك الثائر وللمولى اسماعيل سياسة المراكز الكـــبرى المحصنة في قلب القبائل المتمردة وكتائب السنيغاليين، وللمولى الحسن في الاخير سياسة القواد الكبار، لم ننس أي درس، فدروس التـــــاريخ جنبتنـــا الوقوع في اخطاء، واستفدنا من انتصارات كبار الغزاة وكل دعاة الاســلام الكبار الذين تعاقبوا على هذه البلاد، منحت لرؤسائنا دعما نفســيا للتفــوق على مختلف الاجناس التي تتناخر باستمرار فيما بينها بالمغرب، فســمحت لنا باتمام مهمتنا والسهر على امور اخرى. الكتاب الذي انجزناه ســـيبرر امام التاريخ اسم الافريقي الذي منحته قبل فرنسا اعترافا بالجميل للمرشـال اليوطي[210].

ابان تدهور الامراطورية الرومانية.

[208] هي عاصمة قديمة لبواتو مقاطعة دولافيين DELA VIENNE جنوب غرب باريس على بعد 340 كلم اوقف بها الملك شارل مارتيل الزحف الاسلامي سنة 732م.

[209] غارت القوات الفرنسية على خنيفرة من ثلاث جهات مكناس، ابي الجعد وتادلة اعتقادا منــها ان احتلال المدينة يعني نهاية المقاومة وذلك في 12 يونيو 1914 انظر LES SENTIERS DE LA GUERRE ET DE L'AMOUR P/151.

[210] تعتبر سياسة الاهالي بالمغرب من ابتكار المارشال ليوطي انظر المصدر السابق : la sociologie politique colonniale au Maroc p 115.

الخـــــــــاتــــمـــــــة

يجب التوقف هنا عند الاعتبارات الهامة جدا،واذا كان انتظارنا دام عشـــر سنوات لنشر هذه النقط، هذا كي يؤكد الزمن المتقادم بعـــض الفرضيـــات لنضعها في المكان المناسب لها كالتجارب والذكريات الشـــخصية لازالـــة الشجرة التي تغطي الغابة.

نشرناها اليوم ظانين انه الافضل قبل اختفاء شاهد عيان بوثائق وذكريـــات جد واقعية، لكن زائلة الواحدة تلو الاخرى وثابتة بكل اخلاص دون نوايـــا اخرى، نقطة من تاريخ البربر سيوضحها يوم من الايام احد متممي ابـــن خلدون.

نشير ان جزءا من الوثائق جمعت بواسطة الضابط المـــترجم ابـــن داوود والتي كانت مصدرنا الموثوق به بغض النظر عن مارايناه وســـمعناه قـــد نشرت من قبل تحت امضاء de S R في نشر افريقيا الشـــمالية فـــي 1917 (صاحب الكتـــاب).

في الاونة الاخيرة بينما هذا المؤلف تحت الطبع ظهر مقال مهم وموثـــق حول الجبال البربرية للقبطان سعيد كنون، والوثائق نشرت بواسطة " لجنـة افريقيا الفرنسية[211] ولجنة المغرب" 1929 ناســـف لعـــدم اســـتفادتنا منـــه (صاحب الكتاب).

---

[211] لجنة افريقيا الفرنسية تتكون من 70 عضوا اختيروا بعناية مـــن رجـــال الفكـــر والسياســـة والادارة والجيش وهدفها تنوير الفرنسيين بالمسائل الافريقية بما فيها المغربية وفـــق المصـــالح الفرنسية الاستعمارية. انظر المصدر السابق المغرب الاقصى في عهد السلطان المولى الحســـن الاول ص 223-224.

- تاريخ شمال افريقيا شارل اندري جوليان تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار الونسية للنشر 1969.

- les siècles E.F GAUTHIER Edition Payot Paris 1927 obscurs

- رسلة محمد عابد الجابري فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي الطبعة الثانية دار النشر المغربية.

حوليات كلية الاداب والعلوم الانسانية 1 عين الشق الدار البيضاء مقالة ادريس شهبون العرف وظاهرة الاستعمار نموذج البربر من خلال تاريخ ستيفان كزيل".

Notes sur le pays ZAYANE dans les archives berbers Vol 2 1917.

- مجلة عالم الفكر المجلد الحادي عشر العدد 3 – 1980 تصدر عن وزارة الاعلام في الكويت

- le Maroc chez les auteurs anciens RAYMAND ROCET nouvelle collection de texte et documents publiés par l'association Guillaume Bridé société d'édition " les belles lettres " 1924.

- مجموعة الوثائق مجموعة دورية تصدر عن الوثائق الملكية – المجموعة الرابعة – المطبعة الملكية الرباط 1977.

- مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس جامعة محمد بن عبد الله العددان الرابع والخامس 1980–1981.

V CHRLES DE FOUCAILD " les introuvables " édition d'Aujourd'hui.

- كباء العنبر من عظماء زيان واطلب البربر لاحمد بلقاسم الزياني مخطوط بالخزانة العامة بالرباط مكر وفيلم بقسم الوثائق في جزئين رقم 5/946.

تاريخ بلدة خنيفرة لاحمد بلقاسم الزياني تحقيق د محمد امحزون استاذ التاريخ بكلية الاداب بمكناس دار الثقافة البيضاء 1986.

Sociologie politique au Maroc cas Michaux billaire – FAOUZI .M. HAOURORO.

- المغرب الاقصى في عهد السلطان الحسن الاول لمحمد العربي معريس جامعة الجزائر دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان الطبعة الاولى 1989.

الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 الى 1935 .\

les sentiers de la guerre et del'amour M. LE GLAY édition BERGER – LEVRAULT 1930 des plains et de Monts.

Les Recits Marocains .M. LE GLAY –

- جريدة اطلس ايكو "ATLAS ECHOS العدد الاول 1994

Revue du monde Musulman 1913 Vol 22 p 250 –274

Iteneraire de Moulay Abd El Hafid de Marrakeche à Fès – 1907-1908

كتاب خلدونيات قوانين خلدونية دراسات منهجية ناقدة في الاجتماع السياسي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيـــع محمـــد قربـــان بيروت لبنان 1984

Rocer le TOURNEAU " Fès Avant le protectorat " étude économique et sociale d'une ville de l'occident musulman édition LA PORTE RABAT 1987.

- كتاب انتفاضة الشاوية للاحمد الزيادي منشورات عيـــون ومقـــالات البيضاء الطبعة لاولى.

La paix au Maroc Mony sabin collection du temps present 4 ème édition publiée sous la direction de Jean de GRANVILIERS éditions jules TALLANDIER

Le Maroc collection des terres Fraçaises publiée Paris sous – le partonnage du comité Nationnale des conseillés du commerce intérieur et France, édition société Française d'édition.

Le Maroc sous les boches voyage de guerre 1916 édition – BOSSAR Paris 1917.

- مجلة علم الفكر المجلد السادس عشر العدد الاول 1988 تصـــدر عـــن وزارة الاعلام الكويتية.

مجلة نجمة قطب المغربية العدد الرابع ماي 1988

FRESEAU.L " l'unification du Makhsen dans les abda- le caïd si Aïssa Ben Omar (1842-1924) document du C.H.E.A.M.N° 1930 novembre 1951.

Marrakech et les seigneurs de l'Atlas JEROME et JEAN – THARAUD 22 eme édition librairie Plan Paris

– كتاب الحركة الوطنية الظهير البربري لون اخر من نشـــاط الحركــة الوطنية بالخارج لجامعة ومؤلفاته الحاج حسن بوعياد دار الطاعة الحديثــة الدار البيضـاء 1979.

La France au Maroc LEON BARETY l'éditeur FELIX CARBONNEL PARIS.

– كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى لشيخ ابو العباس احمــد بن خالد الناصري الجزء الاول دار الكتاب البيضـاء 1954.

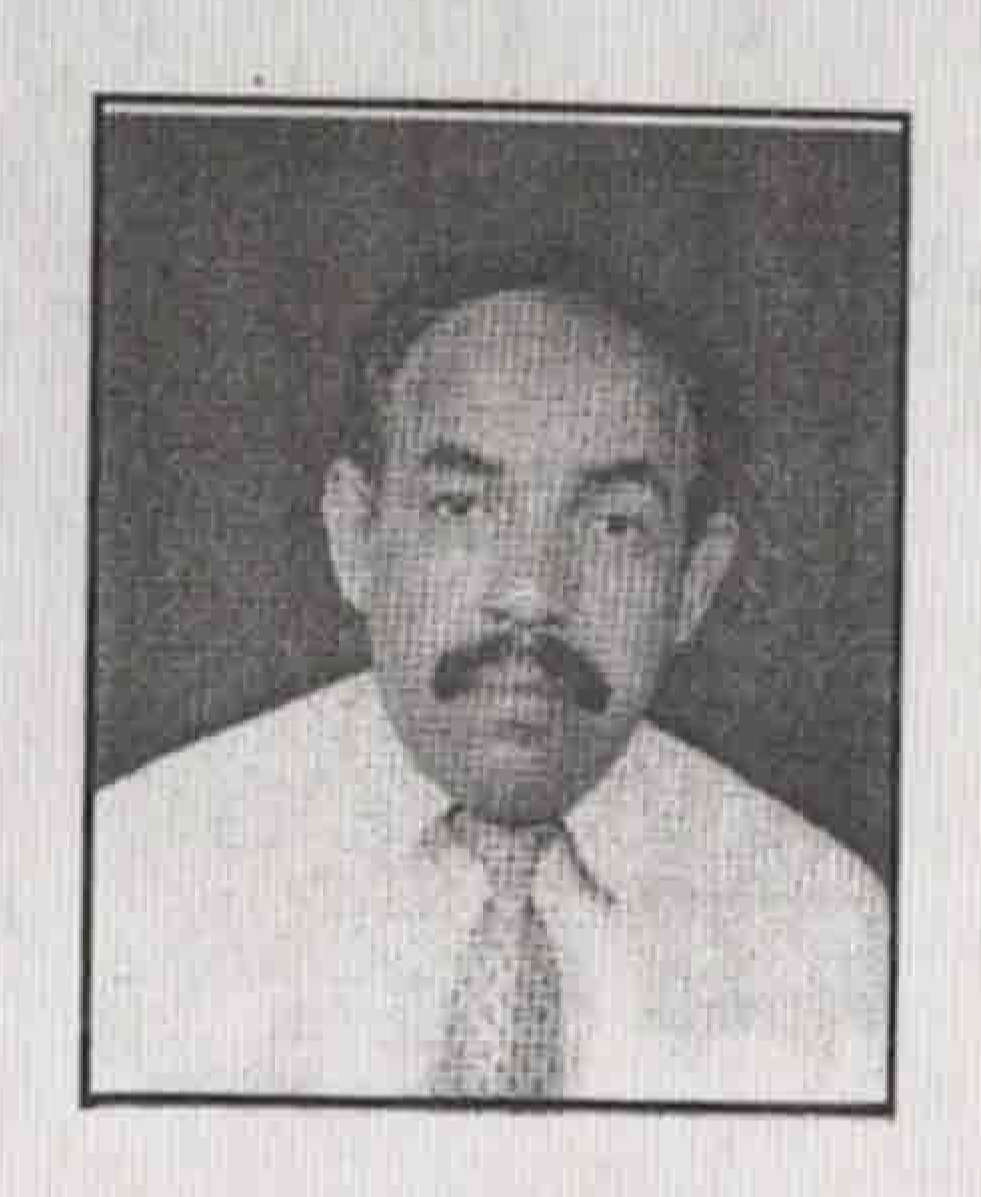
دراسات في تاريخ المغرب جرمان عياش الشركة المغربية للناشــوين المتحدين البيضـاء 1986

– نشرة المنذوبية السامية لقدماء المقاومين واعضاء جيش التحرير نــدوة تاريخ المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في المنطقة الوسطى الجنوبيـــة 1808–1955 20–22 ابريل 1992.

التعرف على المغرب 1883–1884 ف. شارل دوفوكو ترجمة المختــار بلعربـــي اســتاذ بكليـــة الاداب بـــالقنيطرة دار الثقافـــة البيضـــاء 1999.

– كتاب عيسى العربي مقاومة سنان قبيلة ايت عتـــاب ضـــد الاحتـــلال الفرنسي 1908–1956 مطبعة العاصمة الرباط 1995.

الفهـــرس



ذ. محمد بوستة

- الأستاذ من مواليد 1951 بإفران خريج جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس حاصل على شهادة الإجازة في التاريخ.

- له اهتمامات بتاريخ المقاومة الوطنية بالأطلس المتوسط.

- له أعمال في مجال السينما التربوية وكتابة السيناريوهات، شارك في عدة ندوات ومهرجانات على الصعيد الوطني.

- ستصدر له مستقبلا ترجمة لكتاب تحت عنوان "مفهوم المجال عند زيان".

* رقم الإيداع القانوني : 1999/1207

* ردمك : 3- 1678 - 0 - 9954



مطبعة أنفو برينت
Imprimerie Info-Print
TEL / FAX:(05)64-17-26 FES

الثمن : 30 درهم